

تصوف

٢٢

قبصرة الإنسان

محمد سعيد

مكتبة مكة

مخطوطات

لصوف

۷۷

تَبْرَةُ النَّسَاءِ

محرر

مکتبہ کتب و خطرات

9
1902

ترجمة الرسالة اللطيفة المسماة بتبصرة الإنسان
للعالم الفاضل محمد سعيد أفندي مكتوب بخط يده
سابقاً وقصر في معونة العزلة لاحقاً وترجمها
من اللسان التركي إلى اللسان العربي عبد الرحمن
الشوقي مترجم خزينه الحجاز كان الله بها

Moh

صوفى
٢٢

Mohamad Sallal Salay
allamey

Mohamad Salay Sakay.

مكتبة
مكتبة

وزارة الحج والأوقاف
مكتبة مكة المكرمة
رقم
تاريخ
ملاحظات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى اما بعد يقول الفقير
الى مولاه الفقيه القدير عبد الرحمن الشوقي مترجم خزينة الحجاز لما رايت
الرسالة اللطيفة الموسومة بتبصرة الانسان للعالم الفاضل والاديب الكامل
المشني السيب الماهر بكل فن عجيب سادته محمد سعيد افندي مكتوب في ولاية
ديار بكر سابقا ومصرف معجزة العيزر لاعتقا احب تعريضا لادبها بالعلم
الشركية ليعلم نفعها لما فيها من الفوائد العمومية والمنافع الدينية والدنيوية
لا سيما للاولاد الصغار الذين فيهم خيرة المستفاد وجوهرة القابلية
لتحصيل الكمالات التي لا بد للانسان منها فاقول وبالله التوفيق
قد صدر الامر العالي للملك كافي من لدن سلطان اقليم وجود الانسا ف
المسمى بالحياة المسمى بالعلم بان الملكة بان الطفل يتيم المسمى بالنفس
حيث كان والده من اكابر المملكة واعيانها الرزق عليكم ان تسلموه الى
شيخ فاضل واستاد ماهر ليعلمه العلوم النافعة والادب الادبي الإنسانية
مفاتيح المذاكرة في هذه الخصص بين الرجال المشار اليهم اذ ورد عليهم
الشيخ الكبير والعالم الخبير شيخ شيخ في الوجود على التحقيق وقطب دائرة
الركبان على اكل تنسيق الخبر الايق والجر الميق المسمى بالتوفيق
فشاو رده في امر الشيخ الذي يناسب تربيته تعليم ذلك الطفل وتربيته
فقال لو لم يكن من وظائف الخير والسياسة في الممالك الوحدانية هو
والنفع في اهدال العباد واصلاح ما يطرأ عليهم من الخلل والفساد
لاست تربته هذه للطفل النجيب نفسى ولكن قد فرضنا هذه الامور
على الامانة والحق الشقيق والحق الشقيق عالم هذه النان وفيلسوف العزم

تدوين
تدوين
تدوين

والادوان

والادوان الشير بالفضل المسمى بالعقل ففهم ذلك قد صار تسليم النفس
اليه باتفاق اراء الجميع وكان يعلمه احسن تعليم ويربته احسن تربية
وظهرت فيه اثار النجابة وبرع في العلوم والمعارف الى ان بلغ من
العمر خمسة عشر سنة فكان النفس يوما من الياوم في مجلس
اشبه مشغولا بمطالعة درسه اذ دخل عليه شاب من احسن الشا
بهرى المنظر لطيف الشاأل خفيف الحركة نسلم عليه وتمثل بين يديه
لحقا له النفس من انت بافلام وما شئت قال جئت انتسب
اليك واكون محسوبا عليك ومقيما عندك وملازم لك فقلت
قال ما اسمك قال اسمي شهوة فاستحسنت النفس وطم الشهوة
اليه فلما حضر استاده العقل ورأى الشهوة عنده قال يا ولدي
ما لي ارض عنك هذه الفلام فافاضني عليك به من الملام قال
قد انتسب اليك اهل القيام بخدمة وان كان طالع العذار عارم
من الادب لك لينة الجان عذب المشرب يلمذ الانسان بروية
ويانس بطبقته فقال العقل نعم ان الامر كما تقول يا ولدي لكن
ارنى نتيجة صالحة لهذه الفلام عليك وخيمة وعواقب امورك
معه غير سليمة فلم يوتر في النفس هذه الكلام من العقل
بل مال الى الشهوة برهته واقبل عليه بكلمته فلما رأى العقل
ما راه من النفس من ميله الى الشهوة طبعا تحققت عنده عدم
امكان مفارقة طبعه وعلم انه ليس له اقتدار على دفع الشهوة عنه
ففرغ على تربته ايضا مع النفس فشرع في تربيتها معا فيستقام
كذلك اذ الشهوة من طبعه جلب القلوب وتحريك النفوس

وتزيجها فسلب اختيار النفس وحرل ما كان ساكن فيه ومع ذلك
لم يقنع الشهوة بما أبدته للنفس من الرغبات فظم اليه الشخص المفسد
القبيل الجياد المسمى بالجهل الذي كان وله مع النفس في يوم واحد
وتربيا في مره واحد فالتحم الشهوة مع الجهل وصلا في النفس محل
الروح فتغلبا على العقل وصارا ينعبان عليه ويستمران به
واما العقل فمن كون الله مأمورا من طرف التوفيق بتربية النفس
فكان لربها رقة طرفه عين ويقابل النفس بالمقابلة المحسنة
والمعاملة الجيدة ولم يرجع عن ماصحة النفس ولم يكف عن اسباب
تربيتها كما كان ثم ان الشهوة والجهل ارادا ان ينقريا الى النفس
زيادة على ما هما عليه من التقرب واستقاط العقل من عين (النفس)
فصارا يهودان النفس انواعا للذات والملاهي الى ان قالوا له
يوما من الايام في مرضي الكلام الى متى انت مفهم في هذه الخنوة
ومندم عن لذاتك المنيه والحال ان في خارج البارة محلات
معدة للانس والحظ والكتاب السرور وانشرام الخاطر وجب
الفرح والحبور وصارا يذكرون له ويحذرون ان اوصاف المحلات المذكورة
وما فيها من الصفا والحفظ والقبالية واظناله في هذه البحث
غاية الاطنا ب فلما سمع النفس من الشهوة والجهل
اوصاف تلك المحلات عرض ذلك على استاده العقل وطلب
الرضية منه في الخروج الى تلك المنتزهات فقال له العقل
يا ولدي ان تلك ^{المحلات} مشؤمة لا تليق باسافل الناس والصفار
فضلا عن الذوات المعبرين والاكابر الذين انت منهم وكيف لا
وانت منسوب الى مولانا التوفيق وقد صرت ببركة مظهر

للنجليات

للنجليات المعنوية ومكتسبات العلوم الدنيوية فلا يليق بك
ان تخرج الى تلك المحلات المعهدة لاراذلة الناس واسافلهم
وبعد دلها فيها من الفضائح وما يتحصل بها من القبايح وانها
مانعة عن الترقى الى درجة الكمال والانسانية واطال العقل
في انواع الحسنة والفضايل المؤثرة ولكن من كون ان
النفس قد اثرت فيه عذوبة كلام الشهوة والجهل ورست
في فكره فلم يؤثر فيه كلام العقل ولم يلتفت اليه بل اخذ معه
الشهوة والجهل وتوجهوا جميعا نحو المنتزهات المار ذكرها
فلما رأى العقل ذلك قال في نفسه مادام النفس وافق راي
الشهوة والجهل فلا شك في انها يوقعا في ورطة يتعسر
عليه الخلاص منها فالاولى اني اتبعه واكون معه حيث كان
قاسمهم معه من جماعته وحرية الذوات المدسوسين
بالعرف والنافوس والحياء والادب والغيرة
وتوجه خلفهم فلما راوا العقل تبصرهم قال الشهوة والجهل
رد العقل عنا مع جماعته فانهم يكفروا علينا صفانا فلم يتجاسروا
النفس على رد العقل ناديا وصياد منه بل توجهوا جميعا الى
ان وصلوا الى المنتزه المسمى بالتشويق فجلسوا بها وصاروا
يتفرجون على ما فيها فينماهم كذلك اذ قال الشهوة والجهل
لنفس خفية ان في وسط هذه المنتزه قصر عجيب فيه من
السرور ما لا يوصف يقال له قصر الهوى تعال ندخل وننتزه
فيه فقال النفس لا بد من مشاورة العقل في ذلك فلما استشاره

قال العقل هذا من جنات الشهوة والجهل لانه ليس لهما مقصد
في شئ يوافق رضائي فايالك يا ولدي من موافقة هذين
الجيشين في تسويلتهما فلم يرجع النفس عما فيه اليه من طرف
الشهوة والجهل بل اخذها معه ومشى نحو القصر فنه ذلك
تبعه العقل مع رفقاءه المذكورين فلما وصلوا الى باب القصر
قال العقل يا ولدي ان في هذا القصر ما لا يليق بجنابك
فلا ينبغي لك الدخول اليه فلم يلتفت النفس الى كلامه
بل قال له اقم انت ورفقاؤك ههنا فانا ادخل وانظر
ما فيه قائما بلا قصد ثم اعود اليك ثانيا بوجه السرعة فاحذ
الشهوة والجهل ودخل قصر الهوى فوجد فيه سلما فقصده
الى صفة متعة فراه في جوانب الصفة حجرات مزينة فلاح
منه التفاتة فراه حجرة مفتوحة مكتوب على بابها هذه حجرة
العشق والزام فابتهر بالدخول اليها فراه فيها جارية مسنة
تصبه بحسنها الفناء في جو السماء يقال لها الحن فلما نظرها
اليها نظرة اعقبته الف حيرة فصارت تامل في محاسنها
فراه نفسا كانه يقابل امرأة مصيفة تنفكس وتنجذب
محاسنها فيه فضاغ فكره وانسلب شعوره وارتفعت
فرائضه فينما هو على تلك الحالة ينتظر منها التفاتة اذ نظرت
اليه واقبلت بعين القبول عليه وبادرت اليه بالقيام
وامرته بالجلوس مع اجراء مراسم التدبير والاحترام ثم من بعد
ان سكن كل منهما لصاحبه ما في ضميره من الشوق والحبة

فالت له الحن رويدك يا نفسي الى ان اعود اليك وخرمت
وزهدت الى حال سبيلها فجلس ينتظر قدومها اليه شاخصا ببصره
نحو الباب ودموعه تنحدر على خديه فينما هو كذلك اذ دخل عليه
استاده العقل فلما راي عكس ما كان ينتظر اليه اشتد جنونه
وهاجت شجونه فقال مخاطبا للعقل يا من يريد ان يصير في
اسير مقيد ويجرم في لذات الجسمانية دائما فرب انت الحسود
الذي لا يسود انت البلاء المبرم في راس كل انسان فالي متى
انت داني وبلادي اما قلت لك لا تدخل على ولا تقرب نحوى
فلم تصد للعقل بهذه الخطاب واذاقه مرارة الغاي
صار العقل يقابل النفس بالكلام اللين ويعامله بالرفق
واللطف فبعد ما زال ما بالنفس من الحدة والغضب التفت
اليه وقال يا نفسي انك اول سلكت هذا المسلك
الزوي ثم بعد ان كنت بالوسم تقبل يدي صرت اليوم تقدر لي
اساءة الود فوالله ان هذا الشئ عجيب وقد صرت في بلادكم
كافي غريب لون ففلك هذا اهو مني الى مفارقتك والجاني
الي ان اسوم في البلاد فها انا قد عرفت على الرحيل فاودعك
الله والسلام فنه ذلك راحت السكر من راس النفس
وافاق من غشيتها وظهر الندامة بين يدي استاده وبادر الى
التوبة وطلب منه العفو واخبره بانه كان مفرجا بحسن بلجة
بلا اختيار وانها سلبت فكره وحث شعوره فلما كان يملك
نفسه ولا يدري ما كان يفعل وماذا يقول فلهما سمع العقل

من النفس هذه الكلام قبل عذره وترك الكلام ثم ناسف وبأخر
من السفر وتوقف . فبينما كذلك اذا قبلت عليه الحسن وهي
مزينة بأحسن زينة ولا بستر الخربوس فلما رآها النفس لم يبق
لها مجال الى مطاوعة العقل فتركه واقبل عليها برحمته ومال اليها
بكليته ففهم ذلك رفعت الحسن عن وجهها القناع وقالت يا نفس
فاجابها بقوله لبيك يا حبيبة قلبي ونور عيني وبادر اليها بالقيام
واسرع بالمشول بين يديها ثم ابدى ما كان به من الدهشة والشرق
وطلب منها الدصال على سبيل الاستجمال . فلما راي العقل
من النفس ما رآه اوجب الحال الى عدم مفارقة فذاع عليه من ان
يقهر في امر غير مشروع . واما النفس فقد خلع العذار وترك
شروط الودب التي كان يتأدب بها عند العقل وكان ليس مقصده
سوى الدصال فقال للعقل ليس لي بلك من بعد اليوم ثم مال
الى الحسن بالتقبل والفتاق واراد ان يبدى ما في ضميره . . .
فلما راي العقل هذه الحال من النفس تفتن بانه ليس له قدرة على
منع النفس من هذه الامور لقطع لاسيما وان الشهوة والجهرل من اكبر
المساعدين له في هذه الخصوص فها وسعه الاستغناء على منعه
برفقائه الذين كانوا قد تآخروا عنه فاجرم الفقر وهم العرض
والناموس . والحياء . والودب . والغيرة . فدعاهم اليه فلما
دخلوا عليه تساعدا جميعا على النفس وهجموا عليه وقيدوه
واخرجوه من القصر وصلوا به الى مقامه الدصالي فلما استقر به
الجلوس تفكر فيما صنع وعلم انه اخطا خطا كبيرا ولكن لم يفد ذلك

لان الشهوة لم يرمع عن شيطنته والجهرل كذلك مصر على خباثته
لا سيما ومحبوبته الحسن التي هو اسير هواها وقيل منهاها كلاما
خطرت في بآله احرقت نيران محبتها صا صميم فؤاده واخربت
عواصف حسرتها منازل صبره وما كن اختياره قنبا على ذلك
لم يسع العقل الا قبول عذره النفس والتزام امر علاجه من هذه
الورطة لان النفس ما وقع في هذه الشراك الدكونه اسير في
قبضتي الشهوة والجهرل وانه مادام على هذه الحالة لا يفيد فيه
الكلام ولا يؤثر فيه الملوم وعلم بانه لا نجاة للنفس من هذه
البلية الا بطرد الشهوة والجهرل وابعادها عنه ثم تفكر في امره
الشهوة فتيقن بانه لا يحتمل انقضاكه ولا سبيل لطرده عنه حيث
قد حل في النفس حلول الروح في البدن وعلم بانه جميع الحركات
التي تصدر من الشهوة هي بافساد الجهرل والقائه وبانه اذا
ازيل الجهرل عن الشهوة فلا يبقى له عزم على ترك الادب في الجملة
ويحتمل ان يقبل التربية مع النفس ايضا فصار يتصور طريق
ازالة الجهرل الرذيل المضر الذي هو منشأ الفتن والخبائث فحزم
على ايراد التزام انواع المقدمات والقضايا والقياسات
والسايح لاجل اقناع النفس وتصديق ما سببه اليه ^{فأجلس}
فاجلسه بين يديه وقال مخاطبا له . . . يا نفس يا مجنون
اما تعلم بانني قد بذلت جهدي في تربيتك طمعا في انك
تبلغ درجة السيادة وتكون مرجعا لأهل العز والسعادة والحال
اني ما رأيت منك الا احوال توحيب التقيح والترذيل ولا

لان

ولا تشاهدت فيك الاطوار استوجب الفحك والمسخرة
للناس وهل تدري يا نفس ما صنعت فانك قد سلكت قيادك
الى ذلك المفسدين الشهوة والجهرى وسلكت الطرق التي دلك
عليها وصرت كالخجول الذي لا يدري يمنة عن شماله ولا يميز الخير
عن الشر واما انا فكنت اظن انك كامل الدراك مالك الحواس
فبنا على ذلك قد افيت فيك عزيزي موملا في ارشادك
الى طرق اكساب الانسانية وتزويد الاخلاق والحال انك
لم تنزل في تحصيل الرذائل والسعي فيما يضرك وبرديك . . فلما
سمع النفس من العقل هذه الخطاب المتضمن للنهي والعتاب
اشرق راسه وصار باهنا كانه كان نائما وهو في حلوة النوم
وقد انقطعه قبل ان يستوفي نومه فحس بحسب عنيده بيديه
وتناوب وينظر عينا وشمالا ويتبكم في الكلام . . فلما رأى
العقل ان النفس قد افاق من غشيته واستيقظ من غفلته
اراد ان يبين له مخاطر هذه المسلك ورخامة هذه السلوك
فاورد المقالات الدنية في معرض النصيحة بالتفصيل وقال

في ذم الجهرى ومنه مع العلم . . .

يا نفس ان الذي سافك الى الطريق الذي سلكته اول الجهرى
وثانيا الشهوة وان اغلب الفتن التي تقع على وجه الارض
والفساد الذي يحدث فيها من الجهرى فلذلك الجهرى غفك فليسبق
لشهوة غريم على ان يسوقك الى مالا خير فيه اذ ليس من
مخلوقات ربنا ادنى وارذل من الجهرى ورخامة الجهرى اكثر من

ورخامة كل ردئ وكلوت ان الكفر الجهرى اشد اقسام الكفر المتعددة
فالکفر الذي ينسب الى الجهرى اعظم من الاقسام السائرة لان
الکفر الذي يسوقه الجهرى للانسان يخلد صاحبه في العذاب الاليم
ومن مضرات الجهرى انه يوصل الانسان الى الکفر الذي يوجب تخليده
في العذاب الدائم . . يا نفس ان خيرة السعادة التي تقطس
الاختيار للانسان هو العلم فكل شخص كان متلفا مع الجهرى
فانه محروم من هذه الاختيار فيقال فيه ما يقال لافساده اولئك
كالانعام بل هم اضل . ومن كان الجهرى قرينه فقد غفل عن سماع الكلام
المفروق بالحق ولم يزل على ذلك الحال الى ان يسلك به طريق
الضلال ولا يدري اى طريق سلك ولا يميز مسلك الانسانية
واذا ذهب الى اى طريق كان فانه يضل فيه . ومن استلف الجهرى
لا يفهم معنى الكلام الذي يخرج من فيه . والجاهل وان كان حسن
الصورة يرى المنظر لطيف الشامل لكن اذا فتح فاه ونصدي للكلام
كان كمن قيل فيه الجاهل كالتخفيس . اذا حركه فسا . فيا نفس
من حيث انك متلف مع الجهرى فارك موصوفا بهذه الاوصاف
فلا تنصفي الى الكلام الذي فيه الخير والصلاح واذا جرى عندك
كلام حق ته مع عينك وينفق لسانك . واذا تكرر كلام الحق
عندك يضيغ صدرك منه فتباد الى القيام من المجلس فما الى لا
اراك اعلم للانسانية اما تترك هذه الرذالات متى نصير
انسان يا هيوان فلما سمع النفس هذه المقالات الزاجرة من العقل
راى شئها كانه قد احاط به ريح عاصف كاد ان يجعل البناءات
عاليا سافكا او كانه استيقظ من نوم لم ياخذ حظه منه وكانه

في صحراء واسعة الاطراف يقال لها صحراء الخطا قد امتلأت بقطاع
الطريق الموسومين بالذنوب ففتح عينيه وصار ينظر يمينا وشمالا
وتحقق انه غاوى الطريق فرمى نفسه على العقول وصار يقبل بيده
ويصفي اليه باذنيه . . . فعند ذلك شرع العقل في الكلام
في معرض النصيح والملام فقال . . . يا نفس من يانق مع الجاهل
فهو جاهل والذي يخلص نفسه من شرك الجاهل فهو غافم ولكون
ان العالم افضل الامور فصار الطلب افضل التعالم . . . والافادة
افضل التعالم والذي يملك الافضل فهو عالم ولذلك يطلق على
العالم بالفاضل فكل من كان ملجوا عن الامور والاهوال التي هي
منشاء السعادة والعز والرفعة في الدنيا والاخرة فسيب هجرانه
الجاهل . . . وصورة مطردة الجاهل بغير العالم لا تحصل واعظم الشرف
الذي يطلبه الانسان في امر دينه ودنياه لا يحصل الا بالعالم
والذي يسمى ويجترده بارأله الجاهل عنه وينسب الى العالم
فجميع مقاصده التي يمكن حصولها في الدنيا فلا شك في وصوله
اليها بانسبائه الى العلم فاذا كانت امور الدنيا غير منتظمة
فكذلك امور الاخرة لا تقبل الانظام ومن كون ان الدنيا هي
مزرعة الاخرة فمن لم يزرع هنا لم يحصد هناك فالرعاية هي
لنظامات الدنيا من الامور المهمة ولا يمكن حصولها الا بالعالم
يانق ان الانسان عبارة عن جسم وروح ولكل واحد منهما
له اية مخصوصة فلذا ايد الجسم هو الاكل والشرب والتقبيل
والجماع التي هي سبعة الرزاق ويشترك فيها سائر الحيوانات

فعل

فعل هذا فلذا ايد الجسمانية لا تميز الانسان عن سائر الحيوان واما
اللة ايد المختصة بالروح فلا تميز لها الا بالعالم فاذا ايدت الحيوان
مع الانسان في اللذات العائمة اصلا . . . فالانسان يتلقى العلوم
الشريفة التي تلهذ الروح بها بواسطة الحواس فكما ازداد تلقيه
ازدادت الروح تلهذا واخذت بالترقي الى ذروة الكمال . . .
وقبل مصوء الانسان يقن انه ما خلق الا لاهل الاكل والشرب
ولا جل ان يتلفظ بما شاء ويبول ويتغوط متى شاء وحيث شاء
ويحمل جسمه العاري عن المعارف والكمالات كما يحمل الميت
واما بعد اكتساب العلوم الشريفة وانتسابه اليها يستحق انه ما
خلق ليشارك بالبرهايم ويعلم انه قد اكتسب شان الانسانية
يانق ليس للانسان رأس ماله يفخر به في الدنيا والاخرة الا العلم
فاذا كان الانسان عاريا عن العلم فليست فيه فضيلة توجب افتخاره
بها فالجاهل في الحقيقة يتكلم واذا كلمه احد يفهم ولكن معرفته
وعلمه محصورة فيما يستفيع به من الحظوظ النفسانية فقط
كالبهيمة واما معرفة احوال الدنيا وكيفيات الانسان والحيوان
واسباب مجئ الانسان الى الدنيا وحصول امتزاجه مع ابناء
جنسه ومعرفة الاشياء التي تدل على اثبات العظمة الالهية
وهي كبرياء الرب جل وعلا وكذلك معرفة الحقوق التي له على
الخلق والحقوق التي للخلق عليه وطريق معاملتهم ومعرفة ترتيب
الاخلاق الانسانية واصلاحها وطريق تحصيل السعادة الدنيوية
ونجاة الاخرية ومعرفة كيفية الطاعة والانقياد الى الدولة التي

هي متبوعه مع حكومتها ومعرفة ما يأتى على الانسان من عدم
الاطاعة والانقياد اليها ومعرفة درجة مشروعية تلك الاطاعة
فكل ذلك لا يعرفه الجاهلون بل يعرفه العالمون وكذلك الجاهلون
لا يعرفون المراد من ايجاد هذه المخلوقات ويتجهون ممن يجترء
في طلب العلوم واستحصاها المعارف والكمالات ويظنون انهم
يتعمقون انفسهم ويخوضون اذهانهم فيما ليس فيه منفعة ولا
فائدة وذلك لجهلهم لما فيها من المزايا والفضائل لأن المرء كما قالوا
عدم لما جهل فالجاهل لا يعرف قدر العلم ولا يسعى في تحصيله
يانفس كما ان العلم يهتم به في كل الامور كذلك يهتم في امر الحكومة
وما يتعلق بها فهذه ليست من فضائل العلوم بل يقام في كل
بلدة او جمعية شخصا متاهلا لها لادبها تأمين تلك البلدة
او الجمعية واستحصاها راعتها فكل شخص من اهالي تلك البلدة
او من افراد تلك الجمعية حاز عن طريق الحق والصدق او مال الحق
الفرض والنفسانية او عدل عن الانصاف والحقانية فهو سلطة
الحكومة الجلييلة يصير الاهتمام في شأنه اما باصلاح احواله
او بقره واضمحلاله فاذا كل فرد من افراد الرعية مأمور شرعا
باتباع تلك السلطة الجلييلة بقضى الاحكام القرآنية والادوار
النسبية حتى لو صدر الامر او النهي من اولى الامر على الرعية بفعل
امر مباح من حيث الشرع او تركه فيصير فعل ذلك المباح او تركه
واجبا على كافة الرعية فكل شخص اقيم بوظائف الحكومة
فقد صارت رعيته وديعة مسلمة في عهده فيجب عليه محافظة

ادوارهم

ادوارهم واعراضهم واموالهم فان كان ذلك الشخص من فيه
الدراية والعلومية في دقائق الامور السياسية وادارة امور
الملكية ومن له الوقوف التام على حقوق العباد ويلتزم امر
محافظتها غاية الالتزام فينتظم به احوال العباد على امن نظام
وتجري الامور والاحكام على محورها طبق المطلوب والمرام
واما اذا كان المأمور جاهلا عن دقائق ادارة الملكية وغافلا
عن الامور السياسية فلم تزل عمران البلاد تأخذ بالخراب
واحوال العباد بالفساد لان صاحب هذه العلوم اذا تولي
امر الحكومة فانه يدري بان الحكومة هي مركز ادارة الامور السياسية
فيعلم حينئذ ما للحكومة على الرعية وما للرعية على الحكومة من حقوق
وما يحتاج اليه من التدبير المقتضية لادب محافظة تلك الحقوق
ويعلم ايضا هل له اولاد من تعلقاته على شخص من خلق الله
او على جمعية من القوام الموجودة من تكاليف شرعية في ضمن منفعة
ذاتية سواء كانت تلك المنفعة قليلة او كثيرة وبلاده ايضا
الامور المتعلقة بالمعاملات تجري بين ابناء ملته ووطنه
وبين سائر الاجانب المختلطين معهم فعلم هذه افعال الحاكم العالم
يزن في جميع الدورات هذه المسائل الدقيقة والمواد العميقة
بميزان الشرع الشريف وقسطاس القانون المبين ولا يتكل
فيها على فكره القاصر وذهنه المتقاصر ويحترز كل الاحتراز
عن اجراء شئ من المواد المتعلقة بالعباد يقتضي ديانته وامانة
فالحاكم العالم بهذه العلوم النافعة اذا كان من اهل الانصاف

ايضا وكانت عملياته كنه تلك مطابقة لتلك العلوم فيضحي كاي من
كان تحت ادارته وحكمه امنا على نفسه وماله وجميع الاحكام
والقضايا التي تجري على يديه تكون مستندة على القواعد الموضوعة
العادلة وجميع افكاره التي تنصرف في تلك القضايا والاحكام مقيمة
بالحقانية فيه ومعه ذلك نظام الادارة على احسن دواعي ويسلم
من الخلل والاعتراض بلا انقصام واما اذا كان الحاكم الذي
فوض اليه امور الحكومة المقننة عاريا عن هذه العلوم فلا يدري
بانه مأمور ومكلف بتطبيق جميع اشغاله الى القواعد والقوانين الجارية
عليها العمل بل يعطيه جهله وعدم درايته بان تلك القواعد هي
والقوانين ما وضعت الالاهة لخدمة العيون فقط وينظر
الى سائر المأمورين الذين يهرون على العمل بموجب تلك القواعد
والقوانين بعين الخصومة ويقول ان اساس المأمورية بحيث
اذا تكلم هدهشي سواء كان موافقا للاصول او غير موافق فيصدق
من كان عنده من المأمورين الذين بمقتضاه بقولهم نعم والامر بحفرة اقربنا
يفتر في نفسه وينقوي ذلك الظن في فكره فبذلك تاخذ سياست
الادارة وخطبات الحكومة كل يوم بازياد ولو سيما ان كانت
بعض المأمورين الذين دونه متصفين بقللة الانصاف فيصدقون
جهل رئيسهم غيبة فيبادرون اليها ويستفيدون منها ففهم
ذلك يتعمد المهرج على الاهالي وعموم البقة وتنقلت الامور
والعلاج وتلرب سوء الاستغلال كما تلترب النار ثم تحيط
به وائر الادارة وتأخذ النفوس بالاهتراق والدور والبيوت

بالانهم

بالانهم مرتبه وحيث امد ريشكل اصلها بحيث يضيع الفرق
وتميز النسبة والحقوق الشرعية والقانونية التي بين الحاكم والمحكوم
ويؤثر الملك الى الخراب ويتشتت شمل الاهالي ويميزهم
الخلل والاضطراب ومن حيث ان الامور التي ذكرناها لا شك
في وقوعها عند تفويض امر الحكومة الجليلة الى عمدة من ليس
اهلها ولا تنكر فضائل من كان موصوفا بالعدل والفضل والمحسن
التي تبه وعلى يديه اذا فوضت امر الحكومة اليه
وكذلك طائفة علماء الشريعة فانهم مأمورين شرعا بابقاء الخلق
من الفسقة وتفرسيهم الخير والشر وتعلمهم احكام الشريعة المظهرة
فالذي يملك نفسه من هذه الطائفة ويمتثلها عن ارتكاب القبائح
والاغراض النسانية والمنافع الدينية فمواظبه ونصائحهم
وتهدياته وجميع تليقاته تكون مؤثرة في القلوب وان الملوك
والوزراء تقفح به وباتباع ما يصدر من لسانه من الموعظة
الحسنة فضلا عن اعداد الناس وان الخداس والعموم يقفون
به ويسمعون بتطبيق احوالهم الى اعماله الناجية فعلم من هذا
ان العلوم الشريفة وان كانت تعلم الانسان طريق نهديب
الاخلاق تكن من العلوم ان الجيوب اذا زرعت في الارض الخسنة
فانها تنبت اضعاف ما زرع بها واما اذا كانت مالحمة او كانت
عبارة عن الحجارة ليس فيها تراب فلا ينتج منها شيء وكذلك
اذا كان الانسان قد استكمل جميع العلوم والمعارف ولكن ليس فيه
خميرة الاستعداد لقبول تلك العلوم فما الفائدة له او لغيره

من تلك العلوم فاذ كان العالم من اصحاب هذه الجبلية فهل يمكن
ان تصح تلك العلوم وهل يمكن ان يلقى مقتضى جبلته
وحيت طويته ان يعرف علومه الا في ابواب الشر والاضرار
للناس فاذا كان العالم ياخذ الريشوة ويظلم الناس ويستغيبهم
ويشرب الخمر وياكل اموال الناس بالباطل مع علمه بان ذلك
كله حرام ثم يرتكبها فالعلم باي حارمة يمنعه عنها فالعالم الذي
يكون من هذه القبيل بحيث يقرأ العلوم ويكتسب المعارف ويتبحر
فيها ثم يتخذها وسيلة لجر المنفعة ويجعلها واسطة للاضرار
والمكاييد وينصب المسائل الشرعية شركا للتزوير فهل الكلام هو
هذه العالم من تاثير ام هل لموعظه فرق من الاوصاف المرحلة
فالعالم الذي هذه صفته اذا صعد على المنبر او على الكرسي وقال
يا ايها الناس اتقوا الله وتادبوا من رسول الله يا ايها الظلمة
كيف تاكلون الحرام وما شبه ذلك وصار يبعث ويصيح
والحال ان الناس يعلمون انه كالمعلمين بدمي ياكلون ما لا يحل
لهم من الحرام فهل لموعظه من تاثير بل ربما الجاهل الذي ليس له
حفظ من العلم يقول في نفسه لو لم يكن ماسا لترك الصلاة لما هو
تركها العالم الفلاني وكذلك فلان مع علمه وجلاله قدره ياكل
اموال الناس بالباطل وانما ذنبه حتى لا ياكل والعالم الفلاني
كذلك لم يجد في الكتاب رخصة لما شرب الخمر وهكذا الى ان
تفسد اذهان العامة بمثل هذه العالم ويرتكبون سوء الاعمال
ويكون هو السبب المستقل لذلك فلا يظن هذه العالم ان الناس

لا يفهمون

لا يفهمون شيئا ولا يظلمون على دسائسه ولو يشك في نفسه
بانه لا يه من حلول غيب الله عليه فيما بعد فحيث ان الامر
كذلك فالتصديق في صدر المجالس والتزويج بين العلماء هو
لا يزيديان في شان العلم وشرفه بل الذي يزيدي في شانه وشرفه
هو العلم به فقط . وكذلك يعلم ذلك العالم ان التكبير واكل
الحرام صفات من مرتان ممنوع عنهما شرعا فاذا ارتكبها هو
حال كونه يتبحر في العلم ولم يبال بهما واكل كل ما لا يحل من الحرام
كما قيل . لا يشرب القهوة من فضة . ويشرب الفضة ان ثاراها
وسمى اسم التكبير رعاية وشرقا لقدر العلم فهل يقال لهذا
الشخص عالم وهل يلزم على الناس ان يعظموه ويسجدوا له
فتجبل امره الى تفرق تمييز صلحاء العلماء الكرام وانصافهم
فالعالم اذا اتصف بالصفات المتمايزة المشروعة وانفق الاوهوال
التي ليست مشروعة وانصرف عنها فيصير كلامه وانفاسه للروح
غذاء ولجسم العليل شفاء وتؤثر في القلوب تاثير الحياة في الوديان
ويكون ذلك العالم واسطة مؤثرة في اصلاح الدين والدنيا هو
ويستوجب في الدنيا التقديرات التي لو تحصى وينال في الآخرة
من اللطاف الالهية التي لو استقصت فاذا كان الامر كذلك
فالرواية المشهورة المفسومة عن السلف الصالح وهما
استحقاق العلماء كقرن تحمل على هذا الصنف الجليل من العلماء
والذي يست في شان من يقرأ العلوم ويتبحر في المقول والمقول
والمفهوم ثم يرتكب ما لا يرتكبه الجاهل العام ومع ذلك

ومع ذلك يدعى على الخلق التظيم والرعاية لشأنه وإذا قدر أن في
حقه من التظيم فيفتح فاه ويبطل لسانه عليهم ويصير يتكلم
في الجاسي والمخافق ويهدد كيف يكون من العلماء ويستحقون
في ويستحقون قدره فهل أهله يسمع كلامه هذا العالم بل
صياحه والله وصوت الطبل على مدهسوا وإذا قدرنا هيدان
يحمل أسفار فهل يجب تنظيم ذلك الجيدان وتقبيل يده .
ثم قال العقل بالنفس ليس المقصد من بيان هذه التفصيلات
إليك إلا لتعلم هذه الرذالة التي في الجهل ومقدار شرف العلم
فمأوى أن تكون منسباً للعلم وطارد الرذالة الجهل عنك
فماذا تقول . . . ففنه ذلك تفكر النفس في مفرة الجهل
وتحقق شرف العلم وفضله وقدره وأثرت تلك التفصيلات
في تخيلاته فلم يبادر إلى استاده العقل وانتسب إلى العلم
الشريف كما كان . . . فصار العقل ممنونا من انقياد النفس إليه
ومواظبه للعلم وطرده للجهل المفرغة . والنفس كذلك
صار يتفكر في تحصيل العلم أو ككتاب الكمالات الإنسانية
وظهرت عليه آثار الملكية . فبينما هو كذلك إذ دخل عليه
شخصان خبيثان مشغومان يقال لهما هما الحسد والناف
العداوة وصار يتماثلان للنفس ويتصبصان بين يديه
ويخذهانه وأخبراه بأنهما يريدان أن ينسبوا إليه ويصيراه
محمداً عليه فلم يسمع النفس إلا أن تلقاهما بالقبول
لخدمته من غير مشاورة العقل . فلما رأى العقل ذلك الخبيثين

قائمين بخدمته النفس . قال بالنفس هاهنا تعرف هذين الشخصين
منها قال النفس لا أدري عن أصلهما وفهمهما ولكن قد انتسبا
إلى لاجل القيام بخدمته . ففنه ذلك صار العقل يشترط له ما في
الحسد والعداوة من المضرة وإطال الكلام في هذا الباب ولكن
لم يجد تأثيراً لكلامه عند النفس فصار العقل يتفكر في أمرها
وأما الحسد والعداوة فبعقضي جبلتهما صار يفكران في أمره
الشخص الخبيث المسمى بالادب الذي هو من أصله قاذ النفس
من القديم حيث أنه دائماً يشوق النفس إلى النزول إلى
الانقطاع عن الناس والاشتغال بالدراسة والعلوم والمعارف
فقال لهما هاهنا لاخر ما دام هذا الادب ملازمًا للنفس مع
صاحبه الحقيقي وهما الشباب والحياة اللذان من اقارب
المرئيين فليس لنا وصول إلى النفس والحلول فيه إلا بصرف
الشباب والحياة عنه فتشاورا في أمرهما مع صاحبهما العلم
المقدم الموافق لكل مرام المسمى بالمدام . وحيث أن هذا المدام
هو في النظر محبوب وجالب للقلوب وفي الباطن معيوب
بكل العيوب يعني أنه مثل الحية التي ظاهرها منقوش بأنواع
النقوش وباطنها مملوءة من السم الزاهل والاهلوك العاجل
فقره للحسد والعداوة بإبعاد الشباب والحياة عن النفس
وشرط عليهما أن يجعلاه مرة مع النفس حتى يأخذ بأسباب
ففنه ذلك بادر الحسد والعداوة إلى المدام والبهاء الفخر
الملايين وزيناه باصن الرزية وسلمياه سفرة فيهما من

انواع الفواكه والنقليات ومن الدواب المشروبات وادخله على
النفس فلما رآه النفس اعجبه شكله وشماله فتهلل وجهه فرأيه
وتبسم في وجهه واقبل عليه بالبشارة ثم التفت الى المحمد
والعداوة وقال لمن هذا المحبوب المحامر للعقول والجالب للقلوب
فغنى ذلك وجه الشهوة فرصة للكلام لانه كان حاضرا هناك
ولكن كان لا يجوز من مرة مديدة على ما راي من الزهر والتحقيق
من جانب العقل فشرع يشن على المدام وبالف في مدحه فحصل
للحمد والعداوة من السرور ما لا مزيد عليه لانها وجه مساعد الرها
على ما في ضميرها من الخبث والفساد فبادر الى الجواب للنفس
وقال له ان هذه الفلوم اسمها المدام وهذا من اقارب عبيدك
الواقفين بين يديك وهذا غلام نجيب من الطف المحاسين
وقد اتى الى جنابك بهدية بهيمة ثم اشار الى المدام بوضع السفرة
التي اتى بها اليه فوضعا بين يدي النفس فمن كون ان النفس
يميل طبعها الى الجمال حيث كان وينولع في حسن من يراه من الفلما
ووجهه الحسن وهو خالص العذار لا يعرف العار وكذلك المدام
كونه من المردان العلوق ومن اصحاب الخلعة واللاعة فلما راي
النفس منه ما رآه من الحركات والفتوح والخلعات غاب عن الوجود
وضيع شهوة المفقود من شدة ما اشرفه من حسن المدام وجمالها
وابتدر يتناول من المشروبات المذكورة قد حابيه قدح الى ان
مال به السكر والشجون وبلغ حد الجنون وصار يهزئ ويهزئ
ويهدر ويهجر ويقول مديا لساقي والحادي قول الشاعر

ادرها

ادرها بالصغير وبالكبير . وفنهما من يد القمر المنير .
وشراب بلوط فانف . رايته الخيل تشرب بالصغير
هذه اما كان من امر النفس وندامته المدام والشهوة والمحمد والعداوة
واما ما كان من امر الشباب فهو وان كان من اهل الجسارة والوقار
لكن ليس لبقائه من دوام ومحتاج الى وصي وهو وان كانت
في الحقيقة غلام رشيق القوام حلو الابتسام محبوب الزمان لكن
اذا راي محبوبا مثله يهيم في حسنه البسام ويستغرق في بحر الفتى
والفرام وكان الادب والحياة يتناسفان دائما على النفس ويكثران
عليه الملام ويجادون من اجله الحمد والعداوة والشهوة والمدام
والشباب وقه طال بينهم النزاع وكثر القال والقليل ولكن لم ينفذ
ذلك لان الحمد والعداوة والمدام والشهوة اولو متعصبين
وليسوا من اهل الادب والحياة وثانيا لانهم اعداء اقوياء لانهم
الفرح والغلبة على الادب والحياة لكنهما رجلين عزيزين ليس
لها اختلاط بالناس فخرها من المحاسن مغلوبين مقهورين
وتوجهها الى العقل واخبراه باتفاق الشباب مع النفس وكذلك
الحمد والعداوة وانهم منزهين في اللذات ومزكبين اسوء
المخالات وانهم افرحوا النفس عن طريق السداد وافسدوه غابة
الافساد فلما سمع العقل من الادب والحياة هذا الخبر السوء
تحركت فيه الفتوة الغريزية وقام يحش مسرعا نحو المحاسن الذي
فيه النفس وندامته ودخل عليهم وهم على حالة عجيبة لا سيما
النفس وهو في غابة من الكيف بحيث لا يميز الشان الصيف

يتكلم بلامعنى ويرقص بلامعنى فلما رأى العقل دخل عليه وصحبه
 الادب قال اقم يا عقل اقم تعالى الى جنبى هنا هنا انت لا تترافى
 سكرانا وتقول يا حيف يا حيف لان الوقت هو هذه الوقت
 والساعة هي هذه الساعة والكيف هو هذه الكيف يا عقل هل يطاق
 الصبر عن تزدود هذه الساقى المليم الرشيق ام هل يلام
 شاربه حمرة ريقه التى تحكى السبيل والرهيق . شعر
 لا تحفلن بقول اللطم اللطم . واشرب على المورد من مشولة الرام
 فصار يسوق للعقل من العبارات المتعلقة بالخمريات وبشيع
 الاسافات والرزالات التى لا مزيد عليها . ثم التفت الى الادب
 وقال افرج يا ادب افرج لا تقف قدامى فانه ما بقى لك حاجة
 من بعمه الون وصار يتفقه عليه بانواع التفوهات ويلوم
 عليه اثار الغضب والترهات ويبه ومنه نشوة السكر وعجائب
 الحوادث . وقال ايضا مخاطب نفسه بقوله يا نفس ابشري
 بانك اليوم فى حالة لا تدبره امن منها وانك الان فى لذة لا
 لا تحظى بشئ الذ منها ثم يميل شوقا وطربا وبنيه عجبا وعجبا
 وكنه لك الساقى المليم والوجه الصبيح كلما قال يا سيدى
 هل لك فى كاس مفرج بالانس والسرور يقول لا نعم نعم هات
 هات ناولين اياها والحافرين فى المجلس يفتحون عليه ووجه
 ويستزفون به . فلما رآه العقل على تلك الحالة صار ياهنا
 فى وجه النفس وعاضا على اربابه من التعب وقال وا اسفاه
 وا اسفاه وا اسفاه ثم تفكر وقال ما الفائدة من التأسف

عليه وهو على هذه الحالة وما ثمة الكلام والتوبيخ لربه وهو فى
 اسر الرذالة لان الحمرة قد فاهرت ام راسه والسكر قد اخذت
 بعقول جلده ولربما اذا فاطسهم وهم على هذه الحال يصيحون
 على ويستزفون بي فلم يسمع الا السكوت والاسف على عمره
 الذى ضيعه فيه وصار فى اشتد القلق من ذلك حتى فسد مزاجه
 وزالت عافيته وتوالت عليه الآلام والاسقام ومرض مرضا شديدا
 ولزم الفراش هذا ما كان من امر العقل واما ما كان من امر النفس
 فان العداوة والحسد وان كانا قد ملكا زمام النفس وادفلاه تحت
 طوعهما بواسطة المدام وضوء الشباب كنه لك اليرهم وافسده وصار
 يطوف معهم فى ارقعة الفضايح وشوارع القبايح ولكن من حيث
 ان الادب والحياء لم يزلان ملازمين الشباب والشباب كنه لك
 كونه يميل اليهما طبعا وهو فى غاية القوة والجسارة فصار الحسد
 والعداوة فى خفوف وقلق من ان الشباب لربما يتفق مع الادب
 والحياء ويضربون حينئذ النفس اليهما ويسمعون بابعادهما عن
 النفس فينشبت عنده ذلك شمل المجلس الذى عقدوه مع النفس
 ويضيع جميع ادبرود فى شأنه فتذكر فى اسباب اعدام الشباب
 وقرالهم بينهما على ذلك فصارا يترصدا وقتا يكون فيه الشباب
 غائبا عن مجلس النفس ويكون النفس ايضا غايبا الشعور
 والادراك لاجل اخذ الفرصة منه باعدام الشباب فوجدوا
 من الايام وقتا موافقا ودخل على النفس وهو فى غلوته مع
 الغلام المسى بالدم وكلما بهما فى ضميرهما من جهة الشباب

وكان النفس اذ ذاك تختل الشور وغايب الفكر والحضور من شدة
السكر قال قد اصبتما فيما قلتما فان الحياء يحرم من راحة الذة الحبيب
والشباب كذلك يتقربني عنده مواسلة محبوب المدام وهو اعظم رقيب
فاروم منكما ان تزيد وهو دهما من الدنيا وترجيا في منهما فلما
استحصل المحبة والعداوة الرفقة من النفس في اعدام الشباب وهو
لا يشمر فرها سرعين من عنده ودخلا على المدام واخيرا بما استحصل
من الرفقة من جانب النفس في قتل الشباب وقال له هذه الامور لا يتم
الا بداسطتك وهتك واحالا القضية الى عمدة المدام . . .

في بيان موت الشباب

فحيث ان المدام قد استصوب ما دبراه المحبة والعداوة وقبل
التماسهما في ان يكون هو الواسطة في الهلاك الشباب ومحو اثره
من العبود قد قل عليه واظهر له المحبة والوداد فلما راي الشباب
الوقبال التام من المدام والموافقة في حصول المرام طمع فيه وصار
يتقنى منه الوصال فقال له المدام حبا اتفق مع المحبة والعداوة
ابشر بما ترويه مني وهما انابين يديك ولو كن لوبد لنا من مكان
يكون خاليا من الرغبات نخلو انا وانت فيه فعند ذلك هيسوا محلا
يليق بهما فتدبر المحبة والعداوة الى ذلك المحل قبل وصول الشباب
والمدام اليه واختصيا فيه بحيث دبرهما الشباب فلما وصل المدام
مع الشباب الى ذلك المحل جلسا يتحدثان فابتدر الشباب الى المدام
وقد يره اليه واراد ان يتقنع بمصالحه حسب الوعد السابق من المدام
فيستأجها على ذلك الحال اذ خرج عليهما المحبة والعداوة وهما على

الشباب

الشباب ومكاه من طوقه وقال له اما تعلم بان هذا الكلام المسمى
بالمدام هو من اقاربنا ومقلقاتنا اترى ان تهتك عرضنا به يا فاعل
يا صانع ففرضنا به الرفض ثم بعد اجراء انواع التحقيرت فيه قطعنا
راسه بسيف القدر ودفعاه في التراب ثم بعد ذلك تدبروا جميعا
الى النفس الفافل المفضل ووقفوا بين يديه فالنفس حينئذ كان
قد افاق من غشيته وزالت السكر من راسه واعتس بفقد
الشباب ولم يدع عن فطائه باعطاء الرفقة في قلبه وصار يلتفت
يمينا وشمالا ولم يره فسل الحاضرين عنه فبادر المحبة والعداوة
الى الجواب وقالوا لم تعلم بان الشباب الحائن هو متفق مع الود
والحياء قال نعم اعلم ذلك ولكن ما مرادكما من هذا الكلام قال
حيث ان الود والحياء اعتمد على الشباب واستند به فصار
يمنعان جنابكم من اللذة والحظوظ النفسانية فاليدوم قد قلنا
الشباب حبا اهدا امركم بذلك في الليلة الماضية كي تكونوا
مشغولين باللذات في جميع الاوقات والحوادث من غير ممانع
ولا مزاحم فلما سمع النفس منهما هذا الكلام ظن انهما يمزحان
معه فقال ما معنى الليلة الماضية وما معنى الامور التي صدر مني
فقال له في معرض التاييد دع عنك الزلل فان الامر كما حصل
فقال اذا ارياني قبره ثم افتحاه حتى اري جسده فقال له ما علم
الينا وانظر فذهب مع المحبة والعداوة نحو قبر الشباب ولما مشى
وجهه في جسده اثار الرخاوة والضعف وفي اعضائه نقصان الحركة
السابقة فتقبل بقول الشاعر حيث قال وهل المشيب كهيعب بده
تدعى الشباب كبدر اقل وصار عيش كيا خريتا الى ان وقفوا

على قبر الشباب فصار يحول بطرفه نحو القبر وفجاءه بحرق بنار
الفرقة والبحر فلما رأى الحمد والعداوة ما حل بالنفس من فراق
الشباب أشار إلى المدام وغمزاه بأن يتقدم إلى النفس ويريه
جماله الباهر والحظ الساهر ويبدى إليه شيئاً من مكانه وخلعائه
عسى ولعل أن يسلموا الشباب ويعودوا إلى الصباية وزينب والرباب
فتقدم المدام إليه وعرض عليه قوامه الفنان والخطيب الساعات
المأثران وفديده الأسيلتان ووجهتيه المدرتان واره خالو
كفيس القبر وكشف له عن صدر كالجوهر وأبدى بين يديه
من الحركات والخلاعات ما يفيد العايد ويفتن الزاهد فلم
يلتفت النفس إلى ما رآه ولم يكثر بما فعله المدام وأبداه
بل ما زال يتأسف على الشباب وروى جماله وبنائه على هلاوة
مبسه ولذة وصاله فكشف عن قبره طامعاً في حسنه فصار
جسم الشباب خالياً عن التراب بينما هو على ذلك الحال إذ العقل
قد صبح من مرضه وكان وصل إليه خبر موت الشباب فخرج ذريته
فلما وصل إلى قبره صادف النفس قد كشفت القبر وهو يتأمل
في محاسن الشباب التي كان يباهي بها البدور عند طلوعها
وتنبيه على الشمس الضاحية في شعاعها فاذأ صار جسده
كالجيفة المستنة قد احاطت به النمل والديدان وتفككت
اعضائه وهجرته ونبتت الفاراهة البائقة وأصلوا
التراب فيها وهي التي كان يصيد بها طائر القلوب ويجلب
بجاليب حبه الإهشاء ياله من محبوب وتفرقت أوصاله

وفد نظام تركيبه واكملت الحشرات لسانه الذي كان إذا حضر مجلس
المادة يتبرنم به النواخ الترمحات ويريد اللطائف والنكات فلما
رأى النفس ما حل بجسم الشباب من الإفات اهتس في نفسه ألم
الجروحات التي فتحها الحمد والعداوة في الشباب فصار يتأسف على
فقد الشباب الذي كان معادلاً لروحه ووقف على حقيقة حال الحمد
والعداوة وكيف قد مكر به وخدعاه وعمل عليه الحيلة حتى وصلوا
بواسطة المدام إلى نيل المرام ففقد ذلك غضب عليهم جميعاً وطردهم
من عنده ثم حمل جنازة الشباب هو والعقل واعاداه إلى قبره
وبنياء احسن بناء وكتبنا عليه هذا البيت لأننا من لو كان رأسه في السما
يد ما هبط طامش ضوء الفرقه ثم قرأ له الفاتحة ورجع النفس إلى محله
وبادر بالتثبت بأذيال اسناده العقل مع غاية الخجل واعتذر إليه
وتنهى بين يديه من الإفعال والقبائح التي سلفت منه ونقره لم
بأنه لا يخالف أمره ولا يفعل شيئاً إلا بمشاورته ورضاه من الآن
فصاعده ولكن لم يدربان الأمر كما قال الشاعر وهو غافل عما يغوره
كل من عاش يرى ما لم يره وحيث أن الإنسان دابة الدهور
مع دائرة الأكوام بالقوايم والحوادث المختلفة فكان النفس
يدمان الرياح جالساً في محله إذ دخل عليه شخصان شقيقان
وذيلان من أرذل الناس يقال لهما الكبر والشأن المحجب
وكان دفولهما على النفس أثقل من الكابوس فصارا يلزمات
عنده ويترددان عليه وكان النفس إذ ذاك قد مررت في العلوم
وتبحرت في كل معقول ومفهوم فحصلت الإلفة وانفقدت الصفة بينهم

واحد من النفس لما رأى منها حسن المباشرة والمصاحبة وهما
يظهرانه له الصداقة رياء وسفهة من حيث لا يشتر فوقهم
نفس النفس انه هو الكبر والافضل من الخلق وان الناس
كلهم دونه في المرتبة فصارت تكبر ويحب في نفسه ويحب الخلق
وكان قبله اذا خاطبه استاده العقل يستمع له كما كان الوديع
والخشية واما الان فصارت كلما اناد به بشئ يقابله بالتعظيم
والتحريف وتارة يتجرى عليه بالتحقير والتخفيف فلما رأى العقل
من هذه المعاملة علم ان النفس قد رقع في داهية اخرى
كما قيل بداعلم بعد علم وتاثر من ذلك وصار يتفكر في اسباب
ازالة الكبر والعجب عنه . واما النفس فكان يلتزم في مقام
العقل ويصده عن الكلام . وكان العقل كذلك يلتزم في
السكوت عنه ولكن حيث ان مقتضى القواعد الجارية
والتجارب المضطربة ان المحالفة تجلب البلاء المحتم والقضاء المبرم
فتمحرك حجة العقل وضربوا من الايام عند النفس وقال له
يا نفس تعلم اني قد بذلت نفقدي حياتي في تربيتك وصرفت
جميع همتي في اصلاح اهل البيت الى ان بلغت هذه الدرجة
فالان قد ابتليت هذه البيت الشخصيين الكبر والعجب فكانا
سببا لعدم تكاملي بحضرتك ولولا تلقى الى بال فاني ارى الله
قد سلكك سكة غير نافذة فاردت ان ابين لك وخانة
هذه المسلك وابدى لك بعض الضايح النافذة فينبغي
لك ان تصفي كلامي وتلقى الى سمعتك من صميم الباب

فلما

فلما سمع الكبر والعجب من العقل ما قال بادرا الى النفس
وقال له اما يستحي هذه العقل ان يدعى عليك الفضل والمعرفة
مع جلالة قدرك وغزارة علمك وقضائك ويقومك مقام الصبي
الذي لم يبلغ الحلم ويريد ان ينصحتك فوالله ان هذه الشئ عجيب
فمنه ذلك تحرك حجة النفس واهمة هذه المرة فقال يا عقل
كيف تقيم مقام الجاهل المفلس الذي لا يعرف شيئا والحال
ان صدر من علماء الجواهر والعلماء ومحتشون المنور والمنظوم
هل يجلس عندي لاجل ان تفيده في بل الواجب عليك
ان تستفيد مني فانت ايرها الجاهل تريد ان تعاملني بما كنت
تعاملني به عند بلوغني وعنفوان شبابي وقد بلغت الاربعة
من العمر اربعين سنة فلمن ان تسعى بتربية نفسك واما انا
فمعه فضلي وجلالتي قد رسي ايسر لي بلك حاجة من بعد الاربعة
فلما تدعى النفس باستصغار العقل الذي هو استاده العليم
ومربيه القيم وتجرى عليه بالمعاملات التحقيرية تكدر خاطر
العقل من ذلك وخبر من عنده وذهب الى حال سبيله فيجود
خروج العقل طرأ على النفس الخلل وصعد البخار الى دماغه
وعرض له ضيق الصدر فاراد ان يزول عنه ذلك الحال فخرج
يرث فلما قام على قدميه احس بدوران راسه وغثيان قلبه
فتمشى وهو يتمايل من الدوخان الى ان دخل حجرتة وتناول كتابا
ليطالع فيه وينزل ما به من المراق وغلبة السوداء وتامل فيه
فلم يفهم منه شيئا فتعجب من ذلك وترك ذلك الكتاب وتناول

غيره وهكذا الى ان طالع في جميع كتبه فلم يستفد منها بشئ
فمنه ذلك اذ عن بات علومه التي كانت سببا لعنه انا انا
وليس غيري صارت هباء فثورا ولم يبق في صدره منها اثر
فتفطن بانه محتاج الى مراجعة العقل في جميع امور الاله احتيا
حقيقيا فتفقدته في جميع الاماكن فلم يجد في شفر بانه سافر
الى جهة من الجهات فترك الاوطان وخرج هائعا عنى وجره
ناويا السباحة في البراري والقفار والخراب والنفار حتى يجد
العقل في اى ارض كان وفي اى بلدة من البلدان فتبعه
الكبر والعجب وقال كيف تركت هيد او قد اكلنا عيشك
وملحكت ولك علينا حق كثره فسار واجمعا ولم ير الا سائر
من ارض الى ارض ومن بلدة الى بلدة وقد نالهم من تلك البلديات
انواع الحفارة والردالة ولم يلتفت اليهم احد بعين القبول
حتى لا سلام ولا كلام فبينما على ذلك الحال اذ دخل بلدة
يقال لها الندامة فتحسن برأيهم ان يقيموا فيها اياما نزلوا الى الراحة
فبينما هم دائرين يدورون الايام في ازمة الندامة وشوارعها اذ
صادف الكبر والعجب شخصا يقل له البصيرة فقارضا وتجاوز
مع البصيرة الى ان زاد بينهم الجدال وكثر القيل وقال فقال العجب
وتعلق باطواق البصيرة واراد ان يبطلني به في اية شخص
يقال له الانتباه يحسن عنه البصيرة فتعلقا على العجب ورمياه على
الارض فلما رأى الكبر ماحل بصاحبه العجب اراد ان يساعده
فلما تقدم الى البصيرة والانتباه قبضا عليه ايضا ورمياه على الارض

وبادرا

وبادرا بقل الكبر والعجب واعدا حيا رما فلما رأى النفس
ما حل بصاحبه فرمها رما من ذلك الحمل ولم يزل هائبا الى ان
صادف تكيه يقال لها تكيه التواضع فبادر اليها بالاحول
والنجاة الى من فيها من اهل الاحول فاعطوه حجرة من حجراتها
فكن فيها فبينما هو جالس يدور من الايام في تلك الحجرة
اذ غلب عليه النوم فنام ساء ثم افاق وتبع عينيه فاذا هو
في بلدة ومعه وعجته المقة له والعقل كذلك جالس عنده
كعادته فبينما هو متجبر في امره ينظر يمينا وشمالا اذ لاحت
منه التفاتة فرأى كتابا في كتبه فاحذه ونظر فيه فصارت يقرأ ما
فيه ويفهم معانيه كعادته السابقة وصار ايضا يتعجب من
هذه السر الكثرة ويراجع العقل ويعتد رايه مع غاية النجلى
والفشل ويقول لم اكن اوقعت نفسي الدهن في شر الكبر
والعجب حيث لم يسع هو صلتى وادراكى تلك الظنون
والاوهام فرأيت نفسي من اهل العلماء واكبر الكبراء فبرهنا
جلست على نفس البلاد المبرم والقضاء المحتم ففي ايام ما كنت
ملاذفا لخدمتك وقائما بانفاذ امره كنت في اعز حال واحضا
بال رايك حيث انى نجوت من تلك الورطة ووصلت
الى من اهل الخدمة فيها انا بين يديك فارجه من فضلك
واهانك ان تخبرني بحقيقة ما جرى على من البلاد يا هو
والرزايا من ابتداء امرى الى الان . فمنه ذلك شرع العقل
في الكلام وقال . يا نفس ان الكبر والعجب كانا عليك

من اعظم البلايا فلا بد من ان تشكر الله تعالى على خلاصته
منها واعلم بانك مما اردت استحصاها انواع الفضائل
والكمالات ومن الفضائل والمعلومات فلا يتيسر لك ذلك
باقتفاء انوار اصحاب العلوم والفضائل الذين مضوا في سالف
الازمان وملزمة ارباب الكمالات والمعارف المجهودين
في هذا العصر والوفاء ومما علم الانسان من العلوم والمعارف
في النسبة الى علم الله تعالى فهو كدائن وفي الحقيقة ليس لها
اثر وعلى مقتضى قوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم فلا بد ان
الانسان يشاهد ما هو فوقه في العلم ولربما يظن الانسان
في نفسه انه وصل الى شتى درجة العلوم والمعارف فيظهر له
صبي من صبيان الملك فيفهمه عند المباحثه ويبين جهله
ويجعله حتى يحير عقول الحاضرين فاذا كان الامر كذلك فكأن عالم
يتصف بصفة الكبر ويرى نفسه اعلا من غيره حال كونه اصغر
المجودين وادناهم في الدرجة فلا يجد لعلومه بركة ولا يرحم له
من ذلك العلم خير وكذلك الصفة الذميمة الشهيرة بالعجب
فانها تفرط صاحبها في اعظم البلايا واشنع الرزايا وتجعله
مضحكة ومسخة للناس فالانسان اذا قام بدعوى الانسانية
فهذه الدعوى لا تستجيب له سوى الاعجاب في نفسه والتحقير لغيره
فالانسان لا يتصف بصفة الانسانية الا اذا ظن انه لا يعلم شيئا
ويرى جميع الناس اعلا درجة منه . فلما سمع النفس من العقل
هذه المداعلة الحسنه والفضائح المؤثرة قام بعرض الشكرانية واظهار

المندبة لاستاده . . في بيان الغيب والرفق والملازمة . .
ان الانسان حسب المقدرات الالهية مقتضى حاله وشأنه
ويجوز من قهر السوء في وقت من الاوقات فكذلك النفس
لما تجاه الله تعالى من شر الكبر والعجب جلس مستريح البال مطمئن
الحاظر فيها هو كذا اذ دخل عليه شخص مهول الصخرة مخوف
الشكل والهيئة يقال له الغيب فصار يرتد وعليه ويلزم الخدعة
بين يديه فلما راه العقل عند النفس قال سبحان الله بدت غائلة
بعد اخرى ثم رجعت الخطاب الى النفس وقال . يا نفس يا مجنون
ما اقل حياؤك فلما بعد فلاحك من تلك العرطات واستغاثك
من هاتيك المدمات لم تعتبر ولم تنبه فمن هذه القهرين النجس
الذي اراه ملازم الخدعة ومما اظبا لصحتك فما استتم العقل
هذه الكلام الا والغيب قد ظهر له من ركن المحل وكان قد سمع
ما قاله العقل فيه فنهج على العقل وقد امرت عيناه واصفرت
شفاهه وصار يرغى الزبد من فيه من شدة ما فيه من الحدة وقال
هل بلغ من قدر ان تنسبني الى ما نسبته اليه وشرع يهدد
العقل بانواع التهديدات فلما رأى العقل من الغيب ما راه استعان
عليه برقيقين من رفقاته المخلصين يقال لهما الرفق والملازمة
واما الغيب فمن حيث انه قد ضاع شعوره ولم يتمالك من هيجان
الحدة فظن في نفسه انه يغيب العقل مع رقيقه المذكورين فنهج عليهم
واراد ان يبطش بهم فقاموا عليه جميعا ومكوه وضربوه ضرب الكلاب
ورزلهوا اقبح ترذيل ثم كفه وقيدوه وجسوه في زاوية من زوايا

النفس . فلما رأى الله ذلك اختلج من العقل غابة الخجل
 وصار يستعفى من ذنبه ويتردد بين يديه فعنه ذلك
 بادر العقل الى الكلام وقال . يا نفس ان ابتلا فـ
 الانسان مع الغضب وان كان من الامور الضرورية لكن لا ينبغي
 ان يمتد له القياد حتى لا يبلغ درجة ينزع بها هذا او يضارب
 هذا او يخاض هذه ابل نسبة الغضب الى الانسان كنسبة كلب
 الهيبه الى الهيباد فيستعمله عند الحاجة وعند عدم لزومه يقيم
 مع سائر البهايم ويظهر في زوايا البيت لا يكثر من به احد
 واما انت فانت اخذت اياه نديما وقيامه مقام الصديق ونظرت
 اليه بعين الرهايه الجاه الى ان يتجاسر على وكاد ان تقوم فتنة
 من اجله . فلما سمع النفس من العقل هذه الكلام قام وقبل
 يديه واعتذر اليه . . . في بيان سوء الخلق والوسوسة . . .
 . . . ثم لما مضت مدة يسيره بعد قضية الغضب جلس
 النفس يتفكر في احواله السابقة ويقول ان الانسان يقاس
 ما يقاس من المكاره ويخفى عليه احواله العجيبة الى ان يتقسط ويرى
 نفسه وكيف يكون حال الانسان اذا لم يصادف مرتبانا صحا مثل
 العقل وصار يشكر مولاه على ما اولاه من العلوم والمعارف التي
 في محفوظيته ويفخر به لك ويباهي بنفسه مما ناله من محاسن
 الاغلاط وغير ذلك فينماهد على ذلك الحال اذ دخل عليه شخص
 كربه المنظر قبيح الصور فتلوه عليه اثار التهور واغفر من جيبه
 حبة منقشة ومطها قدم النفس فلما نظر اليها انفرقا واشتمت

منها

منها وقال له من انت قال اناسو الخلق فذكره النفس ذلك لثقاله
 اسمه وجبانته جسمه ولكن لما قال انه مامرؤى من احضار هذه الحجة
 بين يديك الا لورقيك بها لتوتقن العقارب والحيات وسائر
 انداع الحشرات وان كرم من بشئ استعين به على فقرى فكانت
 النفس يحمل طبعها الى الرقي لاجل ان يا من سموم الهموم والحشرات
 فوافقت سوء الخلق بما اراد فقام سوء الخلق ورقي عليه ثم وضع الحجة
 في جيب النفس واخذ ما تحصل من الاكرام وتوجه الى حال سبيله
 واما هذه الحجة فكان اسمها الوسترة وكانت هي السم القاتل
 والهلاك العاجل مسومة مشومة مملوءة بالوفات محشوة
 بالنكبات ولكن النفس لم ينظر الى ما في باطنها بل نظر الى
 نقوشها والوانها الظاهري واظلمت بانها لا تفره ولم يدر بان
 العاقل لا ينبغي له ان يحمل الحجة ويضعها في جيبه فاذا حملها ولم
 يلاحظ ما ينتج منها فلرب من تاثير اثارها فيه وكان الواجب على
 النفس ان لا يقرب تلك الحجة العجيبة ولا يقبلها من ذلك الحاوي
 المسمى بسوء الخلق وكان يلزم عليه ان يستاذن استاذ العقل
 في اخذها وقبولها فذهل عن ذلك وحملها في جيبه وصار كلما
 جاءه احد من اصحابه واصدقائه يخرجها من جيبه ويلقيها بين
 يديه لبيان صنعة كالحاوي وللرجل ان يضحك على ذلك الصديق
 ويكلمه باية انه وازعاجه فصار اصدقاؤه يتفرون منه ويانفرون
 صحنه من اجلها ويحتشرون منها وله يضحك عليهم ويستعزف
 بهم حتى انصرف عنه جميع اصدقاؤه ومجيبه الى ان صار واكبرهونه

ويكرهون ذكره في يوم ١١ بهم ونفوذ منه مرة واحدة كما رأى العقل
ان النفس صارفة ١٠ من مجالس احبابه واحبوا له ما جاور
اورد له المقالات الالية في ضمن النصيحة وقال ٥٥٥٥
يا نفس ان سوء الخلق في هذه ذاتك رديء ان اعظم الرداء
ولا ساق الانسان الى امر من الامور الاظهار في العقب وبدا
وحيث ان الاستنزاء كذا من هذه القبيل تدبير لك او من
قال الاستنزاء ثم يوضح لك محاسن حسن النش وتبليج
الحق وما ينتج منها ٥٥٥ في بيان حال الاستنزاء ٥٥٥
ان الصفة المسماة بالاستنزاء هي صفة مفرقة تشبه الافرغ
ذات الامل فالناس تحترق من الشخص المتبلى كما
تحترق من الافرغ لان المستنزئين كالذين يحملون الحيات
بابيرهم ويرمون بها على الناس ثم يتأخرون وفيه كون عليهم
ويحصل لهم الطرب في انفسهم مما اصاب الناس من التزعم منها
فكل شخص فيه صفة الاستنزاء فلا يتكلم ذاهد بصيغة حتى
ان اقرباءه يفضونه ويتأخرون عنه ٥ واذا دخل مجلسا فيه
اصحاب الادب والنسابة يتألمون منه ويستقلون كما يستقل
الانسان الكاوس ويكاد ذلك الجلب ٥ ان ينقر ويتشتت
من شدة ما يعترضهم من الانقباض ويصدق فيه قول الشاعر
اذا حل القيل بارض قوم ٥ فما للساكين سوى الرحيل هو
فلا يزالون يستقلونه ويضيق صدرهم منه حتى يقوم من
ذلك المجلس ٥ وان طائفة المستنزئين قد سمو هذه الصفة الذميمة

مزاحا

مزاحا ولطاف ويقومون انفسهم مقام مثل اللطائف وانهم
من الظرفاء اللطفاء والحال ان الخلق من طبعه يجلب
الانسياط للمزوم به ولا يتأثر منه ولا يتكدر خاطره من الماخذ
واما الاستنزاء فهو عبارة عن استصغار وتخفيف الشغل المستنزاء
به فيتألم منه ويتكدر خاطره ٥ فالمستنزئون من شانهم يستنزئون
كل شخص عاينهم ويظنون ان الناس لا يشعرون به لك كالطير
المسي بالبحر لا يتألم الببحر في ايام الشتاء فيل راسه في النبح
ويبقى رجله في الخارج خوفا من الصيادين ويظن انه قد اقل
نفسه منهم والحال ان الصيادين ياتون اليه وهو لا يشعر وباعذونه
بمنزلة من غير تعب وهكذا المستنزئون يظنون انفسهم
من العقلاء واهل البررة وغيرهم غافلون لا يفهمون شيئا وبهذا
الظن القوي يستنزئون بمن يروه من خلق الله ويدرأعون
حقوق نفوس العباد ولا رحمة الانسانية وينفرون عديم الخلق
منهم لمجرد ذمهم بذلك وينزعون ان الاستنزاء هو من المسائل
الغامضة وليس لاحد قدرة على حلها سواهم والحال ان الصيادين
بات الاستنزاء صفة مذمومة مقدرة على الله وعند الناس
لما ارتكبوها ٥ قال شخص المستنزى اذا استنزأ بعض شخص
من اعضائه فلا بد ان يفتق عظموا من اعضائه جسده ولو بعد حين
والذين يستنزئون بعض افعال الناس او احوالهم الناشئة من
الفقر والاحتياج فلهم عيوب توفى ارباب العز والذين يبقون
مرة حياتهم على تلك الصفة فلا بد من ابتلائهم في عاقبة امرهم

٣١

بالمسكرات او بشئ من الحريات وكيف يفلح شخص يستمرئ
بذات شخص مثله او احواله من حيث الخلقة والصورة وهو
النسخة الكبرى وانه هو وايه اثران من آثار الصانع الحقيقي
فلا شك ان الذي يتق ويخشى قاله الشخص المسترأ به
وصانعه الحقيقي لا يتجاسر على مثل ذلك بوجه من الوجوه
ولو نظرنا بعين الانصاف وتفكرنا في جميع الجهات والاطراف
لرأينا الانسان والحيوان والكون والمكان هل اتر صنع صانع
واحد على الإطلاق فعلى هذا فمن المعلوم انه اذا نظر شخص
الى اثر صنع شخص اخر بعين الحفاة وعاب ذلك اثر واستند
به فكيف يكون حال ذلك الشخص الصانع لذلك الاثر فلا يفتق
عليه ويدعي الكمال تامر به وشرف صنعه من الشخص المسترئ
فكيف بمن يستمرئ بالانسان الذي هو اثر صنع المماز الرباني
واشرف الخلق الخمار الله اني اليس ذلك محض اعتراض على
صنع الله سبحانه وتعالى اما يوجب ذلك ظهور البيرة الزمنية
في محله وهل يفلح من يتعرض لمر يوجب ظهور البيرة الزمنية
ان صفة الاستمراء لا يتصف بها الا من لم يذوق طعم الادب
والتربية من والديه او ممن يقوم مقامهما او انما لا تظهر الا
من شخص نال ميراثا كثيرا من احد اقاربه فاحاط طوباه هو
السفر والسراويل طمعا في ماله وصاروا يمدحونه ويعظمونه
او من شخص كان جميل الصورة فاحبوه الناس لجماله وصاروا
يهرعون اليه من كل جانب فاذا شاهاه هؤلاء توارد الناس

اليهم وعرض حاجاتهم عليهم يتجمل لهم انهم اكل الناس واعظمهم
قطر حينئذ صفة الاستمراء فيهم ولو بشئ ذلك الا من صاحبه
ابائهم وامهاتهم او سائر مؤدبيهم واعضاء النظر عن افعالهم دائرة
الادب والنسائية وعلى كل حال ليس لتلك الصفة منشاء
سوى قلة الادب وعدم التربية فان كانت تلك الماشحة من
الوالدين او من سائر اوليائهم فهو لاجل عدم التضييق على
اولادهم وانهم ينشأون كيف يشاؤون فلهذا ليس من المروءة
منهم ولا ينبغي لهم ذلك لان صاحب تلك الصفة الذميمة
او سائر الاوصاف الذميمة ان كان له في الدنيا صديق واحد
فيمقتض تلك الصفة او سائر الاوصاف مما قبل بصير له هو
اعداء كثيرة ولرب له من مقاسات الهول والشدة مرة حياته
كما قيل من لم يورثه الا بدان يورثه الزمان ويكون ابواه وسائر
مربييه قد قصروا في شأنه حق التقصير كما هو معلوم عند ارباب
الحفاة في احوال هذه العالم والحكمة في هذه النوع انساني
كونه مأمورا بالتربية دون الصبي اذا تركوه على حاله ينشأ كيف
يشاء فالنفس من طبعها لا تميل الى الحق ما فيه فطرها وان كان
قد يوجه من يسلك طريق الاستقامة من غير مربٍ لكن هذا
شاذ لو يكاد يوجه ونادر جدا والنادر كالمعدوم فكل انسان
لو بد له من مربٍ يربيه ثم يرقيه لو هو المربٍ ما عرفت ربح
ولوسيما اذا كان الانسان شابا امردا من اهل الحسن والجمال
فلا يجوز تركه على حاله وغض النظر عن تربيته واكثر المسترئين

لا يكونون الا من هذه الطائفة الذين كانوا من اهل الحسن والجمال
واليه والدلال وقد مضى زمانهم وزال رونقهم وجمالهم
والسبب في ذلك انه لما كان سلطانهم قد استولى على
عقول اهل القاد من العباد ومليك جمالهم قد تغلب على
صاير فؤادهم كيف اراد وكانوا ينتقون اليهم ويتصبصون
بين يديهم طمعا في صحبتهم ورغبة في الفسحة وكلما احاطوا
بواحد منهم وجلسوا بين يديه صار كل منهم يقول له ما شا الله
يا حبيبي انت الذي في هذه المقادير من الكمال والذكاء فكيف اذا
بلغت مبلغ الرجال فلا شك في انك تفوق على اقل طون وتقرط
وتسبق بالحكمة لقمان وسقراط وهكذا من الكلام الفشار
الذي لا طائل تحته ولا معنى له سوى نيلهم المردان من تقريرهم اليه
وحيث ان هؤلاء المردان لم يثابروا في سبيلهم وعلمهم بمميزهم
الحسن والقيس يجبرهم كلام العشاق الفساق ويجعلون اليهم
ويرون انفسهم مما زين عن الناس ولعمري التفات اباؤهم ومربيه
اليهم وتوافقهم عنهم يتفهمون من كل واحد من العشاق صفة
مذمومة ويتصفون بها حتى تنبت منهم صفة الاستنزاع
وانواع الصفات الذميمة التي توجب لهم المفرات العديدة
واذا لم يشتغلوا بالليل الى تلك الاهدال والسخرات فلا يجد العشاق
هيئة يتوصلون بها اليهم ولا ينالون ارباضهم فلا جمل ذلك
يبادر كل واحد منهم الى مضحكة من المضحكات والى مسخرة من
المساخر ويعرضونها على المردان وهم كذلك يكفون بما يرونه

منهم وباتلفونها وتغضى ايامهم واوقاتهم مدبرهم بالضميمة
واللعب والقهرات وانواع الملاهي والسخرات ولا يتفهمون
سوى ذلك عوضا عن اكتساب العلوم والمعارف فلم تزل هذه
الخصال تصحبهم الى زمن كبيرهم فحينئذ تصير صفة الاستنزاع طبيعة
ثانية لهم ثم تزل الفساق نفس المردان والمردان كذلك باتلفونهم
ويرغبون فيهم ويجعلون اليهم بالطبيعة الى ان يزول رونق جمالهم
وبهاء حسنهم فاذا زال ذلك ولم يبق فيهم مطمع فالفسقة الذين
كانوا يتلذذون بشتم المردان لهم وصغرهم اياهم بهير كل واحد
منهم بزيده وسيلة يتوسل بها لاجل الانقطاع عنهم والبعده من
محاسنهم فاذا راس من احد من المردان اقل حركة او سمع منه ادنى
كلمة يتخذها وسيلة وينتقم الفرصة ويقول سبحان الله قد مضى عمرى
في صحبتهم ولم ازل في خدمته وكنت ارجاه بعين المحافظة والادب
احسن ملاحظة فالان حرت محقرا في عينه وصار يضحك على
ويستغري بي فليس لي حاجة في صحبتهم ولا سبيل الى محاسنهم
فيقتربون عنه واحد بعد واحد بهذه الوسيلة فهذه اما كان من امر
العشاق واما ما كان من امر المحبوب فمن بعد تفرق المحبين عنه
يبقى وحيد طريقا ساقطا من عيون الناس ولم يبق عنه سوى
الحرمان من تحصيل المعارف والكمالات والاداب الانسانية واذا
هضر محبا من المجالس او محفلا من المحافل لا يلاحظ الا بعين
الاستنقال ولا يسمع الا الزم والقدر فيه . فلما اكمل العقل
افادته النافعة المتعلقة بمحض الاستنزاع شرع يكلم فيما يتعلق

ايضا بحسن الخلق وسوء الخلق فاورد للنفس الحقة الاربعة الدورية وقال
..... في تعريفات الخلق الانسانية
اعلم ان الخلق بفتح الخاء والخلق بكسر الخاء هما كلمتان مستعملتان
بالسوية فيقال ما احسن خلقه بالفتح والخلق بالضم فالكلمة الاولى
افادت حسن الهيئة الظاهرة كالعين والحاجب والوجه والقدم وسائر
الاعضاء . والكلمة الثانية افادت حسن الصورة الباطنة كالسما
والشجاعة والكمال والعفة والمعرفة . واذا ما مع ذلك ان الانسان
مركب من الروح والجسد فالجسد له عيان يسمى بالبصر والروح لها
عين تسمى البصيرة . فالبصر يرى المحاسن والقبائح الظاهرة
والبصيرة ترى المحاسن والقبائح الباطنية لكن البصيرة من حيث الله
والجيشية هي اعظم واشرف من البصر ولاجل ذلك افادنا الحق سبحانه
وتعالى بفظم قدر الروح و اضافها الى نفسه حيث قال اني ذالقي بشر
من طين فاذا اسويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
وبين لنا بان نسبة الجسد الى الطين ونسبة الروح اليه تعالى
فعلما ان الروح والنفس في هذه المقام شئ واحد فالخلق بضم الخاء
هو عبارة عن رسوم هيئة في النفس تظهر منها امور واهوال
بسهولة من دون ان يحتاج الانسان الى تفكر وتامل فهذه الامور
والاهوال التي ظهرت من تلك الهيئة ان كانت محبوبة شرعا وعقلا
فيقال لها خلق حسن وحسن الخلق بالضم وان كانت غيبة محبوبة يقال
لها خلق سيئ وسوء الخلق فيقال لصاحب الهيئة الاولى صاحب
خلق حسن ولصاحب الهيئة الثانية سيئ الخلق . وقد ذكرنا انفا

ان الخلق

ان الخلق هو عبارة عن رسوم هيئة في النفس وذلك لصدور
الافعال والاهوال منها بسهولة من غير تكلف لان الانسان
اذا تكلف ببذل ماله شيئا من غير سماحة نفسه فلا يقال له
رجل كريم . وقولنا لصدور الافعال والاهوال منها بسهولة
لان الانسان اذا اعطس ماله لهذا او لهذا كرهها من غير انشراح
صدره لا يكره شيئا وكذلك اذا انقار السكوت كرهها وتكلفا
عنه فيجاء غضبه اي يقال له رجل حليم . وفي بحث الخلق
الحسن والخلق السيئ الذي ذكرناه اربع مواد . الاولى منها
فعل الحسن والقبیح . الثانية وجود الاقتدار فيه سواء كانت
افعاله حسنة او قبيحة . الثالثة ان يعلم افعاله هل هي
حسنة ام قبيحة . الرابعة ان يترك هيئته على ما لا يراه
وطايعه ثم ينظر هل تميل الى حسن الافعال ام قبيحها .
واصل الخلق الراشح في الانسان ليست الافعال التي تصدر
عنه لانه يوجد كثير من الناس مجبولين على الكرم والسخا ولكن
يمنعهم عن البذل عدم الاقتدار او مانع اخر . وكذلك يوجد
كثير من الناس مجبولين على الشح والبخل ولكن يبذلون اموالهم
رياء وسمعة لينسب اليهم الكرم والسخا فهذه الافعال
هي عبارة عن صرف القدرة التي مجبول عليها الانسان لامت
الانسان تاءر على اعطاء شئ وعلى عدم اعطائه فقد رتبه
منسوبة الى الاعطاء والى الامساك وقد ينسب تارة الى
الاعطاء وتارة الى الامساك . والانسان ما خلقه الاقادر

٢٣

على الاعطاء والامساك ولذلك يصعد رفته قوة فعل السبحا
وتارة فعل البخل ولم يخلق مستقلا بواحد منهما وهذه الافعال
هي عبارة عن معرفة الحسن والقيح نقط وهذه هي المادة هو
الرابعة من المواد الاربعة المذكورة في ان الخلق في الانس
هذه هي باطنه لاستغمة النفس الى صدور السبحا والخلق
الابتلى الربية فلذلك حسن الصورة الباطنة منوط الى
اعتدال الاربكان الاربعة وتناسب وجودها في الانسان
من حيث الخلق بضم الحاء فاذا لم يكن كذلك فلا يقال لصورة
باطنة تام الحسن من كل الوجوه كما لا يقال للانسان جميل
الصورة من كل الوجوه اذا كانت عيناه مليحتان وفمه رافقه
وروجه قبيحا . . . واما الاربكان الاربعة الباطنة فهي قوة
العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل وقوة العلم
من تلك الاربعة هي قوة ممدوحة افضل من اخوارها دون صرف
الكلام وجوده وكذبه وقبحه والاصواب في الربعة اديان
والخطا فيها وصف الافعال الصادرة وقبحها بدوام تلك
القوة وصلاحتها فاذا اصلحت هذه القوة تحصل منها اثره
الحكمة لان الحكمة راس الاخلاق الحسنة به دليل قوله تعالى
ومن يوفى الحكمة فقد اوفى خيرا كثيرا . . . واما قوة الغضب
فهي لا بد منها للانسان ولكن يجب اقتضائه الحكمة فلهذا
من حيث الانسباط والانقباض فان كانت في هذه الدرجة
فهي محبوبة وان زادت او نقصت عن تلك الدرجة فليست

بمحبوبة . . . واما قوة الشهوة فهذه القوة اذا لم تخبر عن المحم الذي
بيئته الشريعة المطهرة وبيئت طريق لزومها وكانت دائما تحت
ادارة العقل فهي محبوبة . . . وقبوله . . . واما اذا تجاوزت ذلك
الحد او غلبت اختيار الانس في منعه مودة قطعا . . . واما قوة
العدل فهي ممدوحة باداة قوة الغضب وقوة الشهوة فهي تحفظهما
من الخرب في دائرة الدشارة التي تاتي اليها من جانب الشرع
والعقل وتنفذهما عن الإفراط والتفريط . . . مثال . . . العقل
هو مشيرنا صحيح في وجود الانس والعدل هو قوة لاجراء وانقاذ
الافعال نطية الاشارة التي اشار بها الشرع والعقل والغضب
هو شئ لاجراء الحكم حسبما امر به العقل الذي المشير لنا صحيح فكما
ان العقل هو المشير لنا صحيح والعدل مدير الاجراء كذلك الغضب
مثل كلب الصيد والاشهوة هو كالصيد او كالفرس الذي يركبه
الانسان عند الحاجة فكما ان كلب الصيد يحتاج الى التزينة والقيام
لينتفي به عند الحاجة كذلك قوة الغضب يقتضي تربيتها او
كالفرس الذي يطلب منه اذا كان واقفا يكون ساكنا وهادئا
وعند الركوب يمشي مشيا مرقوبا ويمضي جريا مطلوبا وكذا
قوة الشهوة فلا يلزم ان تكون كالفرس المجروح الذي اخذ عنان
اخياد صاحبه من يده وصار يجرى جريا متجاوزا الحد بحيث لا يبالي
بمهادي الاودية ومصادمة الجبال بخش عليه وعلى صاحبه هو
الهلاك من ذلك بل اللائق للشهوة ان تكون كالفرس المراض
المطيع لصاحبه يعرفه كيف يشاء ويديره حيث شاء ويستعمله

على حسب اللزوم . فان كانت هذه الخصال في الزمان في عهد
الاعتدال يقال لصاحبها صاحب الاخلاق الحسنة وان كان
بعضها على وجه الاعتدال يقال لصاحبها كذا كذا صاحب الخلق
الحسن لكن بالاضافة الى ذلك البعض لا الى الكل كما لو كانت
بعض مواضع الانسان مباحا مثلا يقال فلان مباح العينين
او اسيل الخدين او علم المسمع وما اشبه ذلك . واذ كانت
قوة الغضب في الانسان في عهد الاعتدال يقال لها الشجاعة هو
واذا لم تكن في عهد الاعتدال فيلزم ان تكون اذا زائدة عن الحد
واما ناقصة فان كانت زائدة يقال لها التهور ومعنى ذلك
ان يصول الانسان على الشئ من دون ان يلاحظ العواقب
ومثلا ذلك عدم العقل وان كانت ناقصة يقال لها الجبن
والجور يعني الخوف وعدم الحفاية . وكذا له قوة الشهوة
اذا كانت في عهد الاعتدال يقال لها العفة وان تجاوزت عهد
الاعتدال يقال لها الشر وهو ضرب من المحرم . اذا لم تبلغ
اي قوة الشهوة عهد الاعتدال يقال لها الجمود وهو الانقطاع
عن الجماع واهن الاهدال فيما ذكر ان تكون في درجة الوسطى
بلا زيادة ولا نقصان فحينئذ تسمى فضيلة وان زادت اذ تقف
تسمى رذيلة واما قوة العدل فهي صفة لا تقبل الزيادة
ولا النقصان بل لها ضد يقال له الجور واما الحكمة فان
تجاوزت عهد الاعتدال واستعملت في الاغراض الفاسدة يقال
لها الخبث والجملة وان قصرت عن عهد الاعتدال يقال لها البله

واذا كانت

واذا كانت في عهد الاعتدال يقال لها الحكمة في بيان
امرات الاخلاق واصولها وتسمى ما يتولد منها سائر الاخلاق
يعني امرات الاخلاق العمومية اربعة وهي الحكمة . والشجاعة
والعفة . والعدل . فالحكمة هي حالة مدركة فارقة بين الاستقامة
والاعوجاج . والعدل هو آلة لاستعمال الغضب والشهوة حسبما
تقتضيه الحكمة . والشجاعة هي زمام في يد صاحب القوة هو
الغضب من كل الوجوه . والعفة هي سكون قوة الشهوة
ودوام بقائها تحت التزنية بتأديب الشرع والعقل لها .
فهذه الاصول والامرات الاربعة المذكورة اذا وجدت في الانسان
على عهد الاعتدال فيظهر من صاحبها الاخلاق الحسنة في كل احوال
والحكمة اذا كانت في عهد الاعتدال ينتج منها حسن التدبير ومهارة
الذهن ونفذة الرأي والوصابة في الظنون والوفاء بالتمتع
تتعلق به قانق الامور واذا بلغت الحكمة حد الوفاط تولد
منها الجملة والحكمة والكذب وما اشبه ذلك واذا بقيت في عهد
التفريط ولم تبلغ درجة الاعتدال تولد منها الحق والبلادة
مع سلبية الخيال والاحق هو رجل صحيح القصد في حصول
الشئ لكن سلك طريقا فاسدا على زعمه ان ذلك الطريق
هو القصد الصحيح والبلية هو رجل يختار الاشياء التي
لا يقتضي اختيارها يعني لا يختار الاشياء الفاسدة
والشجاعة اذا كانت في عهد الاعتدال ينتج منها علو الرامة وعلو
الجناب والفروسية والجسارة وتوطئة النفس والوقار والنود

وانما ذلك من الاخلاق الحميدة واذا بلغت اربعة افرط
 تولد منها التهور والجاهات الواهية ويحتمد عند الغضب حتى
 يصير كالبحر والاعجاب في نفسه زاعجا انه من اهل الفضل وما
 اشبه ذلك من الدوصاف الذميمة واذا بقيت الشجاعة في حد
 التفريط ولم تبلغ درجة الاعتدال تولد منها الجبن والدناءة
 فاذا اصابته اذني مصيبة يتفجر منها ويفش ما في قلبه من
 الاكدار ويرذل نفسه في اقل حاجة واذا كان له حق على شخص
 يخاف ان يطالبه وينقبض في نفسه من اجل ذلك واذا اعتراه
 اقل جوع او ظم او ألم او وجع يفلق منها ويبادر الى البكاء
 وينفض من اقل شئ . والعفة ينتج منها السخاء والحياء
 والهدوء على الشدة وكظم الغيظ والنعفون عن اساء اليه والتقنا
 والتقوى واللطافة والمساعدة وعدم الازمكاب وعدم الطمع
 واذا بلغت حد الافراط او التفريط تولد منها الحرص والطمع وقلة
 الادب والنجس والسرف وفساد الطبع في نفقة عياله والرياء
 والاشتغال بالاشياء التي لا فائدة فيها والتبصيص المكان من كان
 والمحد والتزام وتحقير نفسه عند الاغنياء واهل الاعتبار والتكبر
 على الفقراء وما شبه ذلك فهذه الاربعة فضائل هي امهات
 محاسن الاخلاق وما عداها فروع تنولد من افراط تلك الاربعة
 او تفريطها وهذه الفضائل ما ملكت ولا بلغت الى حد الاعتدال
 الا في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفي غيره لم تبلغ حد الاعتدال
 ثم بعد ذلك تفاوتت الناس في ذلك بحسب القرب والبعد

. . . . في ان هل تتغير اخلاق الانسان بالرياسة ام لا
 ان بعض الفقهين الذين ساءوا زمام اغنياءهم الى انفسهم ادعوا
 بان الاخلاق لا تتغير واوردها على ذلك دليلين الاول قالوا
 ان الانسان صورة باطنة وصورة ظاهرة فكما ان صورته الظاهرة
 لا تقبل التغير مثله اذا كان الانسان قصير القامة لا يمكن ان يصير
 طويلا واذا كان طويلا لا يمكن ان يصير قصيرا واذا كان مليحا لا
 يصير قبيحا وبالعكس لو عالج الانسان مرهما عالج فكذلك الاخلاق
 التي في صورته الباطنة مرهما سوي وتدرج لا يمكن تغييرها .
 الثاني انه لما صار السعي والاهتمام والتجربة طبق المرام
 بالمجاهدات والرياضات في ازالة الغضب والشهوة عن الانسان
 بالكلية كقطع الشجرة من الارض باصولها وعروقها فما امكن اصلا
 لون الغضب والشهوة هما حالة جسمانية فطرية لطبيعة الانسان
 ومزاجه فبناء على ذلك فالذي يسمى ويحتسب في ازالة الغضب
 والشهوة بالكلية يكون قد رام المحال وضيع فيما لا ينال وحيث
 ان القصص من زوال الغضب والشهوة هو قطع التفات القلب
 عن المحظوظ العاجلة فهذا لا يمكن ابد انتمى . الجواب على هذين
 الدليلين انه لو كان الامر كما تدعيه هؤلاء الطائفة من ان الاخلاق
 لا تقبل التربية ولا يمكن تغييرها لطلت جميع الوصايا والموعظ
 والتاديبات ولا كان للكتب السماوية صحة ولا لوصايا وتبشيرها
 الانبياء والرسل حقيقة وكذلك الجزاء المرتب من طرف الحكومة في
 حق المتمردين واصحاب الجرائم لاجل ان يتادبوا ولا يعودوا لمثلها

ولا جمل ان يرتفع غيرهم من المستعدين فلفاد فمادام ان صاحب الجمل
والقباخذ لا يرتفع ابدا وان ضربوه او جبهوه او احبلوه من وطنه
وكذلك المستعد لا يباع الفاد وارثا كالبقايح من امثاله هو
مادام لا يعتبر بما حصل للجرح من القرب والتكبل اذا فافاة الحكمة
ودوائرها المعه له ذلك وما نثره الجمعات للمينة للمحركات هو
والاستنطاقات فظن ان كل من لاحظ هذه الملاحظات وادرك
عليها دلائل لا طائل تحتها ليس له عقل ولا اساس بالكلية
لانه كما لا يخفى على احد بل يعلمه الطفل الصغير ان الحيوان المسمر
بالكلب من طبيعة الحرص والشره يا كل ما لاح فاذا نادى وتعلم
يصيد الارنب والثعلب وغير ذلك ولا ياكله ولا يتعرض له بسوء
وربما يبقيه حيا الى ان ياتي اليه الصياد وبأخذه وذلك لكمال
ادبه وتعلمه وقد شوهد مرارا ان بعض الكلاب المودعين
يجلس عند سفرة الطعام ويتردد اليه ولا يتعرض هو للطعام
اصلا وان الطير المسمر بالباشق هو حيوان وحشي جدا يهرب
من كل شئ ولا يقرب من الانسان ابدا فاذا اخذوه وادبوه
فمنه ارسله على الصيد بنقض عليه ويمسكه ثم بعد ذلك
اما ياتي به الى صاحبه او يجلس قريبا منه حتى ياتي صاحبه
وبأخذه ولا يهرب حين اطلاقه وارسله من كمال ادبه ورياسة
ايتلافه بصاحبه وان الخيل كذلك من طبعها النفور فاذا
ربقت وقبلت التربية انقادت وسمعت زمامها الى صاحبها
وزال ما كان بها من الوحشة والنفور فاذا كان الامر كذلك

بحيث

بحيث ان البهايم تقبل التربية ويصلح عالها وتتغير طباعها
الاصلي بل انكارها بالث بالانسان الذي هو اشرف المخلوقات
والنسخة الكبرى ومجموع الكائنات هل هو ادنى من البهايم
حتى لا يقبل التربية ولا تتغير اخلاقه ام كيف يدعى من ادعى
ذلك واقام الدليل برأيه لتأنيه دعواه فلو شك ان ذلك المدعى
في غاية من الحق ثم ان الموجودات تنقسم على قسمين
فالقسم الاول هو ما لم يكن للانسان مدخل اصل ولا اختيار
في تفصيله وتركيبه كالسموات والنجوم والآلات التي باطنت
الانسان واعضائه الظاهرة والاجزاء التي في سائر الحيوانات
فهؤلاء المذكورات لما خلقوا في هذه الارض على صفة الكمال فليس
للعبد فيها مدخل والقسم الثاني هو ما خلق على نقص من
الوجود ففي هذه القسم قوة في ذاته لقبول الكمال ونزط
كون ارتباط اختيار العبد به فاذا لم يرتبط ذلك الشرط فلا حصول
للكمال القوة بنذر التفاهة فلا ليس هو شجرة التفاح لكن يمكن
ان يصير شجرة اذا وضع في ارض مستعدة للفرس وسقى بالماء
تجميع اعضاء وجود الانسان هي من القسم الاول لا يمكن ان
تتغير كاليدين والرجلين والعينين والخاصيتين والشفقتين
واما الاخلاق الانسانية كالغضب والشهوة فمن كون انهما
من القسم الثاني فيمكن ان تقبل التربية والاصلاح باختيار العبد
لكن اذا اردنا ازالة الغضب والشهوة عنا بالكلية بحيث لا يبقى
لها فينا اثر كما تنقلع الشجرة باصولها وعروقها فلا سبيل لنا الى ذلك

بل يمكن انقيادها البناء بالتربية والرياضة والمجاهدة بمعنى بحيث
تقلبها عنه هيجانها فينا ولا نوافقها على مرادها كما انما مودرين
بذلك ايضا من جهة الشرع . ومن المعلوم ان الانسان حين
يبلغ مبلغ الرجال تيسر فيه الشهوة وربما يكون مغلوبا لها ولا
يقدر على ضبطها وتكثيرها ويرتكب امورا وهو الاخرجة عن
هدى الادب والحياء ولا يبالي بكلام الناس فيه مما قالوا فيها
هو منزهة في لذاته اذ تتحول احواله الى احسنها ويتصف
بكمال العقدة والديانة وذلك اما بتأثير الزجر والتربية واما بالنسبة
والتي فقط من نفسه وقد شوهه ذلك في كثير من الناس فالشهوة
تلك الشهوة باقية بعينها والشخص ذلك الشخص كذلك بعينه
ولكن التربية اخذت بفنان الشهوة وسلمته الى يد الشخص
فملك زمامها وغلب عليها . فالانسان لو تفكر في احوال
نفسه من بداية امره الى الوقت الذي هو فيه يرى كثيرا من الاول
التي كان يتمنى فعلها اذا ذكرت عنده يا باها طبعه وتشمئز
نفسه من سماعها فضلا عن ان يفعلها او يرتكبها وربما كان
قد تكلم بشئ قبل مرة فبعد مضي تلك المدة يستنكر ما بارها
على لسانه في المرة الماضية فضلا ان يتكلم به ثانيا فهذه الامور
الحسنة لا تاتي الا من الاحتراز عن موافقة الخطة والنفسانية
والترام التربية . فعلى هذا فلا شك في بطلان ادعاء من يقول
اخلاق الانسان لا تتغير . لكن نقول ان الجبلات تختلف
من قولها للتربية بوجه السرعة او البطء ولذلك اسباب

وهي على

وهي على اربع مراتب . المرتبة الاولى لها طائفة وهم الذين
لاهم قدرة على تمييز الحق من الباطل فخلوهم عن الاعتقاد وهم
على ما خلقوا ولم يتعلموا شيئا ومضوا على ذلك وحيث لم
يزدقوا طعم اللذات النفسانية ايضا فبقيت شهواتهم ناقصة
فلاهم قلبية هؤلاء الطائفة ليست متعسرة بل يقبلونها
في اقرب وقت واقل اشارة من مرشد او معلم او اذا جاهدوا
بانفسهم لسبب من الاسباب فوجد فيهم فتنة حنة اخلاقهم
وبصالح احوالهم المرتبة الثانية لها طائفة وهم
يعرفون محاسن الاشياء وقبائحها ويبركون دقائق الامور
باسرها لكنهم تركوا انفسهم على ما خلقوا عليه ولم يلتفتوا الى
صالح الاعمال ولم يشبهوا باسباب تهذيب الاخلاق بل انهم
انقادوا الى شهواتهم واعتصموا كل فرصة ظفروا بها فساقتهم
شهواتهم الى غاية من الخطة والنفسانية واستمغنوا
لانفسهم ذلك المسلك فمسرر جوعهم عن ذلك ولو ايقنوا
بالهلاك ومن جملة هذه الطائفة ان بعض مد من الخمر منهم
يعتريه الداء العضال فتعبرهم هذا الاطباء بانكم اذا لم ترجعوا
عن شرب الخمر فما قابل لتبصيرها الكين فلا يلتفتون الى
قول الاطباء ولم يزوا مصرين على شربه الى اخر مق من حياتهم
وقد شوهه في الخلق من هذا النوع كثير لا يعب ولا يحس فعلم
من هذا ان كل من كان حريصا على شئ وقد حصل له الادمان
في ذلك يكون من هذا النوع نفوذ بالله من ذلك

ثم ان هذه الطائفة وان تسمى عليهم الامم بما هم عليه من
الانعام لكن عظم ذنبهم في تدميرهم فاصلا هو هذه الطائفة
اصعب من اصلاح جميع المراتب الاولى لان في اصلاحهم
ونظيفان الاولى هو اخراج ما في قلوبهم من النساء النجس
اعتماده وقد رشح فيهم لكثرة انما كان به راسخة الثانية
هي غرس الصلاح في قلوبهم وتمكنه فيها وايضا
وفي الجملة هذه الطائفة هي محل لقبول الرياضة المرتبة الثالثة
الطائفة اعتقدوا بالاخلاق الرديئة والافعال الباطلة انما
الحق فتكررت اسباب الضلالة فيهم فاصلاح هذه الطائفة
مشاكل جدا اذا مضى من العناية والهداية الزمنية وصحبتهم
التوفيق الرباني . . . المرتبة الرابعة لها طائفة نشأوا على
فساد الرأي واعتماد العمل بتلك الرأى الفاسد مثلا الصبي
منهم اذا فتح عينيه يرى ابيه وسائر اقربائه فزعموا ان
بالفسق والفجور فيسلك مسلكهم ويرتكب اندام الجنائز وبنه
قتل النفس والكل مال الناس وهناك اعراضهم انما فضيلة
ويقترب بها فاصلاح هؤلاء الطائفة يتم ارضا اذا اهد
ساعدهم العناية وصحبتهم التوفيق الاول فهاهنا في ذلك
ان طائفة المرتبة الاولى من الطوائف الاربعة المذكورة
جامعة لصفة الجهل فقط والطائفة الثانية جامعة لصفة
الضلالة فقط والطائفة الثالثة جامعة لصفة الضلالة
والفسق معا واما الطائفة الرابعة فانها جامعة لصفة الجهل

والضلالة

والضلالة والفسق والشر . . . ولجميع الى الطائفة التي
تدعى بان الاخلاق الانسانية في تدميرها التغيير مادام في الحياة
كالشهوة والغضب . . . وبما انما اشبه ذلك من الاخلاق
فهذه الدعوى باطلة بالوصلة لان هؤلاء الطائفة قد ظنوا
ان في الوجود من يدعى بان الاخلاق الانسانية قد يمكن
ازالتها عن الانسان بالكلية كما يقطع الانسان الشجرة من
الارض باصولها بغير عرقها ويلقيها والحال ليس في الوجود
من يدعى ذلك ولا يمكن ان يبرعها اهد لان الشهوة قد خلقت
في الانسان لفائدة ضرورية فاذا زالت شهوة الطعام مثلا
عن الانسان الكاين فلا يعيش ذلك الانسان بل يموت في
اقرب وقت . . . انما يسمى في ازالة شهوة طعام انسان بالكلية
فيكون قد سعى في قتله لان في اصلاحه فكل من قطع وازال
شهوة طعام نفسه فهو قاتل نفسه وكل من قطع وازال شهوة
طعام غيره فهو قاتل غيره . . . وكذلك شهوة الجماع فلكون انما
لعدم انقطاع النسل الانساني فيبقى برانقطاعها وزوالها عن
الانسان بالكلية فيكون قد انقطع نسل ذلك الانسان بالكلية
وكذلك انما زالت قوة الغضب عن الانسان بالكلية فلا يبقى فيه
قوة لرفع المعارض التي توجب هلاك ذلك الانسان كمن هجم
عليه عدو ليقبله او صان عليه سبع ليفترسه فاذا لم يتحرك فيه
قوة الغضب لرفع ذلك عنه هلك لا محالة . . . ومادام ان الشهوة

باقية في الانسان لا تزول عنه بالكلية فلهذا ايضا باقية
 والمجبة لها طبيعة ضرورية وهذا المال . فكل من قال في ذلك
 منهدق وعقبي وجب له ان يقول ان كذب الانسان مكلفين
 لا شرعا ولا عقلا بل ان كذبهم شرعا وعقلا وعيب المال
 على الانسان بالكلية بالجواهرات والماله ابيد كما نزال الكفاية
 على القدراس بالسفوح على المطلوب من ان تكون فيها
 على حالة المستطاع بين الاقراط والتفريط بغير ان لا تكونها
 من ان تأخذ زمام اختيارنا من يدنا ولا نجعلها ايضا تحت قهرنا
 بحيث لا يتغير هذا الاعتدال . والامر المطلوب من صفته
 الغيب هي الحجة وهو ان لا يصلح الانسان على شئ بل انما على
 ولا مدحظة وان لا يكون هيبا بحيث يخاف من ادنى شئ
 وان يكون قوى النفس في الحجة ومنه وهو تلك القوة ان
 يكون مطيعا ومقادير العقل وله ذلك ورد في القرآن العظيم
 في صف الفزاة اشد على الكفار رحما بغيرهم وصبرهم الله
 بالثمة والمنة من طبعها لا تنصه الا من الغيب فلو كانت
 الغيب ما طرد لان الجهاد كذلك ما طردنا الله تعالى والمكافئين
 العبط والعافين عن الناس ولم يقل والفقرين العبط
 وقد يمكن رد صفة الشهوة والغيب الى ان لا يكون تحتها
 على العقل بل العقل يكون غالبا عليها وخاضعا لها ولان
 الشهوة والغيب اهدانا الى الشهوة من اشد هذه من الانسان

لا شك في صلاح حاله وتغير خلقه الى اهلها وقربانها
 الاخلق فتغير من عبارة عن التفتيح لوت المذكرة والره
 ان التراب بالكلية كقاع الشجرة من اصلها فلو كان لا بد من الفرق
 بين من نشأ على سبيل الذم لاق من مال سفره وبين من انتصف
 بها واستقرت في طبعه بعد كره فانه شتان بين هذه اودا
 وانما اننا بان الذم في تفسيره في باله رجاء فلزم لكل
 انسان من زمان على حسب ممارسته فيه عرفه او رد العقل
 المتألمة التي ذكرناها من باب النقص للنفس وختم كل مرة
 بقوله واذا اراد الانسان الى من من اخلاقه الذميمة بالكلية
 وسعى لياسعها فان لم يتيسر له ذلك بالكلية فلا بد من حصول
 مطلبه ورسيل مراده . في بيان عاقبة العشق والفرام .
 قد ذكرنا في اول هذه الرسالة ان النفس في اوائى حاله لما توجه
 مع الجهل والشهوة الى المنتزه المسمى بالتشويق ثم دخل قصر
 الهمى ومنه الى المحجرة المسماة بالعشق والفرام وكيف
 لما عشق الجارية المعروفة بالحنى وكيف دخل عليه العقل
 واخرمه من ذلك المحل بالجبر والكرام وكيف صرد للجهل عنه
 بالكلية لانه كان في افسه النفس وكيف اسفل الشهوة
 من عيه وكيف انكسر عباره عنه النفس ايضا وكيف لما مال
 الى من بعد ذلك الى المله لم صار للشهوة اعتبار عنه بدو سطة
 المله لم يره من الزمان وكيف لما مات الشباب سقطت الشهوة
 من عين النفس ثانيا وكيف الشهوة لما رأى نفسه محقرا عنه

النفس وساقطاً من عين العقل لزوم الخمول وجلس في زاوية
من زوايا النفس و اسفا على ما كان فيه من العز والقبول
فيما هو على ذلك الحال اذ دخل عليه يوم من الايام شخص
كان يوده سابقاً يقال له الاشتياق وهو صاحب حركة و شطارة
فراى الشهرة في ذلك الامر والغم فسلله عن سبب ذلك
مناسفا عليه فاحضره الشهرة بالقصة وما جرى عليه وانه مطرود
العقل ومحقر ايضا عند النفس فقال له الاشتياق لو اضرتني
من ابتداء الامر لساعدتك على مطا... به ثم وعده ببلوغ المرام
وخرجه من عنده ونزله الجارية المسماة بالحن وحسن لها ان
تكتب كتابا للنفس تذكر فيه الوعد الذي سبق منها له بالوصول
وتزيتج ما ينجته من الفرام الذي كان ساكناً وكافنا المردم الايام
والليال فكتبت له ذلك الكتاب فاخذته الاشتياق ووصل به
الى النفس فلما رآه النفس خفق قلبه واضطرب فؤاده
فقال له من انت ومن اين اتيت قال انا خادم الجارية هو
المعروفة بالحن وقد اتيتك بكتاب منها فلما سمع من الاشتياق
ذكر الحن تذكر محاسنها وما جرى له معها وما قاساه في معوانها
وتحركت فيه المحبة الكريمة وهاب الفرام المستكن فاحشاه
ففض الكتاب وقراه فاذا فيه شكوى حال من مجي الى حبيبه
وهو من حيث ان لنا مرة لم نستشرف برؤية جمالها فصرنا نذكر
محاسنكم ونسلي بذكر اوقات الود والسرور التي مضت
وساعات المحبة والمودة التي سلفت بكم كما قال الشاعر

رحم الله اباً مائة نمت بقر بكم . فلما كان احلاها وما كان احلاها
فيما نحن على هذه الحال اذ هطل بالبال ان نخرجنا بكم كتابا فيه
ما يقنع عن تفصيل ما عندنا من الاشتياق لكن توقفا في امر الرسول
الذي نرسله اليكم فنادت الروح من الودعاء وهي تقول انا ذلك
الرسول كما قلت في ذلك شعره رسالة اشتياق فلما كتبتها
تمت من يحفظ بتبليغه الاجراء فنادت من الودعاء روي انا التي
اهق بان اهطل لوف به ادرى . فارودنا ان نرسل الروح كما
رغبت في ذلك لكن تقيدهم الاشتياق وقال انا اتشرف
بهذه الخدعة فارسلنا معه فقول انه من بعد ارتباط القلوب
بجبل المحبة وهذه المبادعة الصورية لم تخطف في بالكم ولم يحزنكم
على سائكم كاتبا بين شفتيكم حرف الوفا كما قلت في ذلك شعر
نسيتم ذكرنا لم تذكرونا . كاتنا عندكم حرف الوفاء .
فتمن وان لم تحفظ منكم بسلام ولا بسؤال فاطر الذي هو من
المعاملات العادية بين الناس لكن لم تنزل باذلين الاعدات
الخيرية به و ام بقائكم ومبادرين بتفصيل كمال الودع بكم
محاسنكم ومكتسبين غاية السرور والنشاط بمجدد فاعدهم
ورؤياكم انتهى . فلما قرأه ووعاه وفهم مفردته ومعناه
ارتفعت مفاصله وارتفعت فرائضه ونظر الى الاشتياق
نظرة فوقع مفشياً عليه فلما راي الاشتياق ما اهل بالنفس
من الاشتياق القى اليه عبارات شفاهية تتعلق بحبونه وروح
بها جنونه وهيتم شجونه ثم لما خرج من عنده صادق الشهوة

واقفا عند الباب فاخبره بجميع ما جرى له مع النفس ففرغ الشهادة
بذلك وقال في نفسه قد جاء وقت ملوئي بالنفس كما كنت سابقا
فقام وتزين باهين رنية ثم نهط وتبخر ودخل على النفس وهو
في حالة لا تدرك وفي زى لا يعرف من استيلاء الحب والفرام عليه
فلما رأى الشهوة في زى غريب وقال عجيب نظر الله بعين القبول
واظهر له كمال السرور ونسب في وعده واجل عليه فلما رأى
الشهوة ما حصل له من جانب النفس من الرقبال بعد طول الجهر
والتحقير صار يرتقه بسرهم المحاطة ويلقى اليه من سحر الفاظه
ثم قال له يا سيدى رايت شخصا جالسا في الصفة قد اتى
اليكم بكتاب وهو ينتظر منكم الجواب فلما سمع من الشهوة ذكر الكتاب
لم يتمالك فنهض قائما وخرج من المجلس الى الصفة فراه الاشتياق
جالسا ينتظر الجواب كما اخبره الشهوة فقال للاشتياق ها انا هو
الجواب هيا بنا نذهب الى العجيب فمضى نحو قصر الهوى فتبعه هو
الشهوة والاشتياق فلما وصلوا الى القصر صعدوا من السلم
الى الصفة الممهدة ووقفوا عند باب حجرة العشق والفرام
فاخذوا رخصة الى الدخول على الحسن بواسطة الاشتياق فلما
دخلوا الى الحجرة نظر النفس يمينا وشمالا فلم ير الحسن غير انه
راى ستارة مبلولة على نصف الحجرة فسئل الاشتياق عن تلك
الستارة فاخبره بان الحسن قد تغير حالها لمرور الزمان
ولاجل ذلك دخلت وراء الستارة فلما يمكن الاجتماع بها
الامن وراء هذه الستارة فقال النفس وكيف ذلك اليس

الى الوصول اليها والنظر الى وجهها فاجابه الاشتياق بان الامر
يحتاج الى الوقت منها ففهم ذلك تقدم النفس الى الستارة وقال
يا هين فاجابته من وراء الستارة بقولها ليلىك يا نفس
تفضل يا حبيبى اهلا وسهلا ومرحبا فقال لها ما هذه الستارة
اما بكفينى ما اتيت من الفراق والوقت نريد ان نحرقين
بنار الهوى والاشواق فاجابته مصرع
لم تسل عنى وعن حالى فانت الظالم وقالت لو لم اليك ذلك
الكتاب لما اتيت الينا ونزعنا في بالك فلما سمع النفس منها
هذه الجواب لم يبق فيه مجال على الاصطبار وشرع يتخضع لها
بالاعتذار وقال ان كنت قد قصرت في ارسال رسائل المودة
لكن لم ازل اسير صفاكى وقيل معاكى وان العقل الذى هو
الوصى المجبر على فلم ازل في قبضته ومنوع من جهته عن الوصول
اليك فالقصير الذى وقع منى في هذه الخوض كل هذه ضرورى
ليس باختيارى لاني كنت دائما اتمنى بقول
لو ان ضوء الشمس مع نور القمر قد زالتا بالحو عن كل الوجود
فصياء مسلك عن عيونى لم يزل وبروق شوقك في الخشبات الوقود
والوقت حيث انى من فرط الفراق لم ادر ما اقول قال الذى مضى فقد
مضى فارجو عقول واتمنى لطفك ولا تغف عني بما حصل
فلم ترهيب الحسن عن التيه والدلال بل قالت له ليس فيك اثر
من الوقت وانما هذه التملقات والتبصصات عبارة عن اجراء
ما في ضميرك من الغرض وبلوغ المراد واما النفس فانه كلما

رأى تلك الجفوة من مجذبه وشاهد آثار القسوة من منية قلبه
صار يتقلب من حال الى حال ويضطرب مما في لجة من حذر الوصال
فقال يا حسن ما دام ان حالك مقرون بالجفوة وقلبك مملوء من
القسوة وكان مرادك تلقيني في اودية الحرمان وتحت شجر
البحران فلاي شئ يعينني بسرهم المحاطك وسبه يتي بسحر الفاظك
من ابتداء الامر اما يكفيني ما قاسيت من الاشواق في زمان الافتراق
وتعزيني الان عند الوصل واللقاء اليس انت طيبتي وفي الوي
حبيبي اما عندك من دوا لداء وهدك والجوى وفي ذلك اقول
صدرت ارادتك السنية اني . افضى اوقات الزمان فراما
لما اقبلت احابني من هجركم . ما لم اصف فاعذرني صباها ما
فرها انا قد انت بجسم العليل الى دار شفاء المحبين والعشاق
والجنات بفسح رهاب من هدم الجأ كل الحب مشتاق وفتح كلامه
بقوله شعر اطاعته فرض تطفأ او مفا . مشربه عذب تذكر او صفا
وكلت الى الجيب امرى كله . فان شاء احياني وان شاء ائلفني
فلما لم يسمع من الحسن جوابا موافقا لمطالبة تقدم الشهوة اليه وقال
ولاي شئ تطيل معها الكلام ارفع الستارة وادخل عليها والسلام
فاستحسن كلام الشهوة وقال في نفسه من راقب الناس مات هانئا
وفاز باللذة الجسور فتقدم الى الستارة ورفعها ودخل على
الحسن فلما نظر اليها راها على خلاف ما كانت عليه من الملاحظة
والجمال لانه لما احبها وعشقها قبل ثلاثين سنة كانت بنت
عشرين سنة وكانت فائقة زمانها ووجيدة عمرها وادارها

واما الان

واما الان فقد زالت ملاحمتها وذهب رونقها ولم يبق فيها من
الجمال اثر لان خديها الانور جلد مدبوغ وجبينها الازهر نعل
مدبوغ وقد ابيض شعرها الاسود واصفر لونها المور وحتي
صارت . بزة مضمضة ولكل القلوب مكر وهه فاعرض عنها
النفس ولوى وجهه قائلا انتي بمثلك يا زمان وهذه افعلك
بالانسان وخرم سرعان الحجرة وهو يماثي وقد انطقت ما
برأته من النيران في الحال . واختفت تلك الخيالات التي كانت
بناظره لذلك الجمال ولما صار خارج الحجرة واذا بالعقل قد اقبل
عليه لانه كان اخبروه بان النفس ترميه نحو الحسن فجاء مرورا
اليه فلما وصل الى ذلك المحل رأى النفس خارجا من عند الحسن
فقال له يا نفس ماذا فعلت فاجابه بقوله شعر
لما علمت الحب فيه مضرة . للما شق الولهان في وادي الغرام
قد كانت محبوبي تملك لاجتي . فاحذرتها وارعت نفسي والسلام
فلما سمع العقل منه هذه الجواب فرم به تلك فهاشده ثم اخذ
النفس وتوهم هو الى محله فلما وصل واستقر بهم المجلس
شرع النفس يخبر العقل بما جرى عليه وما قاساه وكيف كانت
عدوله عن الحسن عند ما راها فصارت عجوزة شطاطا كالحة الرقطاء
فقد ذلك بادر العقل الى الكلام في مرض النسيحة وقال
يا نفس انت لما رايت الحسن وعشقتها كانت بنت عشرين سنة
والان بلغت من العمر خمسين سنة فتحول رونق حسننها وطراوة
بهرتها وبهاء جمالها الى ما قد رايت ثم بعد مدة تصير ترابا تحت الارض

وهكذا اجمعوا ان النبوة الفانية والحكمة الدائمة الزائلة
 فحسب الحق التي كنت رايتها وعشقتها هو الان ذلك الجسم
 لكن لما تحولت وانقلب باقلوب الرمان صارت الى ما قد رايت
 فالرمان الذي كان او قعلك في شرب هو اها هو الذي اطلقك الان
 من فيه اسارتها وسجن جواها وان الحال الوجهاني الذي يقال له
 المشق قد كنت ابتليت به والان قد نجوت منه فليس هو فيض
 رباني ولا كرامة الاله وليس هو الكيفية ^{التي} يسمونها الطائفة الباطنية
 بالوجه والحال بل هو قسم مفهوم من الاقسام التي توارثها افراط
 الشهوة وما صله هو صهر الشهوة في مادة معينة وليس المشق
 المجازي فلو ما ذكر كما هو معلوم عند ارباب الحقيقة وضرر المشق
 للانسان ليس له عه ولا ميزان والذي يفن عمره في ذلك فهو
 كالمجنون الذي قد قلع جلياب العار والتحق بالاراذل وخرج عيش
 في الازقة يجر السلاسل والاعلال . . . ويتقدم رتق الانسان
 في شرب المشق بلوا اختيار فينبغي له ان يتفكر ما ينجم منه هل
 هو من اثار غلبة الشهوة ام غير ذلك وهل ينتج له من ذلك
 فضيلة من فضائل الانسانية ام هل يبقى في يده منفعة من منافع
 النبوة والخرافية لان الانسان اذا اراد الشروع في تحصيل علم
 من العلم او الى صنعة من الصناعات ينبغي له اول ان يستخلص
 في فكره ما ينتج له من تحصيل ذلك العلم او الصنعة ثم يشروع في التحصيل
 فليت شغري ما الفائدة التي يلو عليها العاشق فسلوكه مسلك المشق
 فاللايق بن جري عليه فضاء علة المشق ان يبادر اهلكه بمعاييره

واطلوكم

واطلوكم من ذلك القيد وان تركوه على حاله فيعقبه اما زوال العقل
 او الهلاك . . . وعلاوة ذلك هو صرف افكاره وتحويل ميله عن
 المشوق ثم الاشتغال بتحصيل العلوم والمعارف كي يحصل السلوان
 قال بعضهم ان المشق ينقسم على قسمين مجازي وحقيقي فالجازي
 هو الميل والركون الى المحبوب والنظر بمطالعة النوار الجاهل البهر وتزوير
 القلوب . . . والمشق الحقيقي هو الحال والوجه الذي يحصل للمشاق
 بعد استغناؤه عن المشق المجازي بحيث اذا تفكر في هذه هو
 المصنوعات والمكونات وفي ملكوت الارض والسموات يتحقق
 انها هي صنع المبدع الحقيقي واثاره الجميلة فيقول الله ورسوله
 ثم يفرس في روضته حاله وقاله شجرة الفكر والذكر التي تثمرها
 الخفيض الالهي ثم يرتقي الى درجة بحيث اذا نظر الى اي شئ
 والى اي صورة يقول هذا من اثار صنع الصانع الحقيقي فكلاهما
 نظر الى نفوس تلك الآثار صار حيرانا وبرهيق ذلك التفكير
 والتذكر نشوانا فاذا انصف العاشق بهذه الصفة ووصل
 الى هذا المقام يقال له العاشق الحقيقي ويقال للمحبة المؤثرة
 التي في قلبه المشق الحقيقي ولا يتصف الانسان بهذه الصفة
 ولا يبلغ هذا المقام الا من بعد ادراك السر العظيم المضموع
 في جميع الاشياء سواء كانت من ذوي العقول او من ساكنة ذوي
 الارواح والجمادات ويعرف انها هي صنع الصانع الحقيقي
 واثاره الجميلة ويستدل بان المراد من النقش النقاش ومن
 الاثر المؤثر وان يحصل لان حاله وقاله الوجهاني بنده يا كريم

ولا يقال هذه المرتبة الا الذي سلك هذا الطريق وكان بحسبه
 وادراكه الذي هو نفس صحيحة ضمنية منطوية الى الذوق اللذيذ
 وهذا الذوق لا بد من ان ينغم اليه سلوكه بما هو النية على
 الاستقامة التي هي في خلقه الاصلية فعلم من هذا ان هذا
 الطلب ليس كالطلب الذي في العشق المجازي ^{الذي هو النسبة الحقيقية}
 التي بين الحال المسر بالعشق المجازي وبين العشق الحقيقي
 غير ثابت ولا متحقق فاذا كان الامر كذلك فالعشق الذي في تركيب
 قولهم الجواز نقطة الحقيقة فهو عبارة عن ان يطابق على شخص
 كان مألوقا بالتكوينات المجازية ثم عدل عنها وتوجه بكليته
 الى عدم التحقيق فصار مظهرا للتحقيق يعني ان الرذائل الجسدية
 والنفوس النفاقية هي حائلة بين الانسان والحقيقة فينبغي
 تركها والعدول عنها حتى يصل الى الحقيقة كما كان على شاطئ
 نهر واراد ان يكون في الجانب الاخر فلا يتمكن من ذلك حتى
 يجوز الجسر يعني نقطة ذلك النهر فهذه معنى الجواز نقطة الحقيقة
 والادليس كما ترجم الطائفة البطالة بان معناه ان يراهم
 الانسان الوجه الحسن وان ينظر اليهم بعين الشهادة
 وان يتخذ انواع الوسائل الخبيثة لاجل جلبهم وتقريبهم الى
 افكاره الفاسدة وان تبذره منه كل يوم انواع الرذائل ليكون
 قد جاز نقطة المجازية بذلك ووصل الى الحقيقة فحاشا
 ان يكون الامر كذلك وهو خطأ عظيم منزه فالعاقل الذي فيه
 القابلية لسلك طريق العرفان وهو طريق العنان اذا ملك

والفوائد

اختياره

اختياره وانقا خلقه فلا يردل نفسه ان يعشق غلاما فاسدا
 ويفتبع اوقاته في صحواه ولا يكلف نفسه بالتوثيق التي
 لا طائل منها رتبة ^{لكن اذا نظرنا بعين العدل}
 والانصاف ينبغي ان نقول ان القوة الجاذبة الحقيقية
 التي اودعها الله في الوجوه الصباغ والخمود المألوم من طبعها
 ان ينجذب اليها الانسان ويميل اليها بالقلب واللسان
 لان السبالة البرقية الهوائية المددوعة بتلك القوة الجاذبة
 تسير الى من اصل العاشق واعضائه وعروقه فيظهر له في
 كل نظرة اشراج جديدة ووجد ما عليه من مزيد فاذا كان الامر
 كذلك فمن ابتلى بهذه البلية ينبغي له ان يلاحظ ما يؤول
 امره اليه مع تلك البلية من الجنون او الهلاك فيسوق بجذبه ويجتهد
 بكل ممكن في التخلص وسأل انقطاعه وسلوه عنه لاجل
 محافظته نفسه من تلك الدرامات ومهايلك الهلكات
 واذا العجز عن ذلك بنفسه وانقلبت عنان اختياره من يده فقد
 فيجب ان يتركها من يده من الاهل والاقارب والرفقاء
 ان يتم اكرامه ويفتنوا احواله افا الذي يتولى تلك
 البلية لكنه يعقده في تلك التوثيقات والاشتهات النفسية
 انها حرام جدا ويمنع نفسه عن اغراضها الفاسدة ويبقى سالم
 بالهذه والفكر بحيث لا يتعطل عن اشغاله ومصاباته الضرورية
 ويؤدي ما وجب عليه من التكليف الشرعية والوظائف
 الانسانية فحينئذ لا حرج على ذلك العاشق لانه يأمس

بمشاهدة مواضع الجحيم حصول ذائقة الفساد وبسبح من ارسل
صبره وشعوره الى الحرام والمراد . فلما اورد العقل
هذه النصائح للنفس ختم كلامه بقوله لكن يا نفس قل
ان يومه من يمشي الملاح والرهوه الصباح وبامن ورطة
الزهوة وقل ان يومه من يسلك طريق المجاز ثم يصل الى
الحقيقة . فلما سمع النفس من استاده العقل هذه المقالة
حمد الله واشتغل عليه على فلاحه من تلك البلية . ثم تبعه
مضى مرة من هذه الوقائع كان النفس يومان اربابا جالسا
في محله مشغولا بمطابقة كنيه اذ غلب عليه النوم فنام ساعة
فراى في منامه عالم المثال فجال في فضاء الملكوت وتفرج
على ما فيها واطلع على عجائبيها فلما استيقظ من نومه راي
نفسه واقفا على ساحل من سواحل البحر يقال له الحرص
فخار في امره وصار ينظر يمينا وشمالا فلاحته منه التفاته
فراى موقعا مزدحما من الخلق يقال لذلك الموضع الافكار النورية
فدخل في ذلك الازدحام وصار يسئلهم عن طريق السلام
واحد واحد فلم يرشده احد منهم بل ولوعروا المحلوت التي
سئلهم عنها فلما آيس منهم تقدم الى المرسى ونزل في
سفينة كانت حاضرة ومترتبة للسفر يقال السفينة الازركاب
فسلم الدجرة وجلس فيها فلما سارت بهم برهة من الزمان
اذ طلع عليهم ريح عاصف وجاءهم الموعود من كل مكان
حتى انكسرت السفينة وغرقت وغرق من فيها من الركاب

فوقع

٣٦
فوقع في يد النفس لوح من الواحها فركب عليه ولم يزل سائرا
على ذلك اللوح الى ان القاه على طرف الساحل فخرج من الماء
وهو على اخر مق من الحياة وصايد ور وبلتفت يمينا وشمالا
فيما هو على ذلك الحال اذ لاحت له مدينة عامرة فتوجه نحوها
فلما وصل اليها دخلها فراها مدينة عالية البناء شامخة الوركاب
فوقف ينظر السلام والرعاية والاحترام من اهلها فصادف
رجل منها فسلم عليه ورحب به وسئله عن حاله وعن سبب
وصوله الى هذه المدينة فاجبه بجميع ما جرى عليه من المصائب
وبان سائق القضاة ساقه الى هذه المكان وبانه غريب
لا يعرف احد ولا يعرفه احد من اهل هذه المدينة فقال له ذلك
الرجل اذ اقدم وجب علينا ان نأخذك الى منزلنا ونجزي لك ما رسم
الضيافة ثم اخذه من يده ومشى به الى منزله فوصلوا الى باب
مقنطر كبير فدخلوا منه الى المنزل فامر الاتباع الحاضرين بالقيام
في خدمته واكرام نزله فوق العادة ودخل هو المحرم كعادة
الاكابر فافقه والنفس وادخلوه قاعة من القاعات فلما ه
نظر الى تلك القاعة وتامل في مفروشاتها وتزيناتها وتذهيب
سقورها وجد رايها واللوان منقوشاتها وامعت النظر في ملاحة
الخدمتين القائمين بالخدمة وروى حسنهم وبرها وجمالهم
حيث كان كل واحد منهم يحجل البدر بطلقة وتقطط الشمس
عنه رؤيته مع سائر الجباب والفرايب التي بتلك القاعة هو
فخار في امره وانه هشي مما راي وصار يقول في نفسه ليت شعري

كيف يفعل الضيف عنهم وما طريق سلوك الارب والتظيم
في قوانينهم فينما هو في ذلك الفكر اذا ما طواه الفلمات
والوجوه الحسان واما طوا ما بينهم وبينه من التكليف
وار الواعنة العشرة والعشرة والاعتنان واصطفوا بين يديه
برسم الخدمة فلما راي ما صار له من الرعاية وازيد الاعتناء في شأنه
استبشر بكل خير واطمن فاطره وزال عنه الدوا من بما حصل
له من الاستيناس فعنه ذلك بعض الفلمات عن رب المنزل
وقال اخبرني عن سيدنا وولي نعمتنا من هو على صوم من الراء
الكرام ام من الملوك والسلاطين العظام فاجابه المستور
بان هذه المدينة يقال لها مدينة القفلة وان صاحب هذه المنزل
هو ملكها والقائم بامرها وهو سلطان عظيم القدر واثان اسمه الخوليا
يقرب المثل بسجانه ومحسود ملكوك الارض بغطائه خرم هذا
اليوم فتكرا يمشي في المدينة ليتفقد اهل الرعية فصادف من ذلك
اليها فلما علم بانك غريب هذه الديار فاتي بك الى قصره وكوس
مملكته ليبلغ اليك بالاحسان ويبلغك الاوطان فلما سمع
النفس من الفلام ذلك الكلام حصل له السرور التام وايقن
ببلوغ المرام وكان من داب الملك المثل راليه وعادته القديعة
هو مفيوط ملوك الارض بالطول والعرض من حيث جوده وكرمه
وكيف الامان لمن لاذ ببابه والتجأ بجناحه فالكل استغوث
بمداه لطفه ونعمه ومع كثرة الواردين الى فسيح رحابه يعطى
لكل واحد منهم محلة في صوابه وياتيه فوق ما يشتره ويزاد في كرامه

وبالغ

37
وبالغ في احترامه ه فينما النفس بالسر ومترفة في ذلك القصر
ومن ثم فوق الحذر والحذر اذ ورد يوما من الايام من جملة الواردين
شخص يقال له طرل الرمل فاجتمع بالنفس وانفقدت بينهما
الصحة واللفة وصار طول الرمل يحكي للنفس ما رآه في اثناء
سياحته في البلاد من العجائب والغرائب حتى قال له ان خلف
هذه المدينة قلعة عجيبة اسمها قلعة الخسران وفيها غار عجيب
اسمه الكذب وذلك الغار مملوء بالكنوز والذفاين المظلمة
بحيث لا تقنى ولا تبيد وان تلك الكنوز والذفاين في قصر تلك
القلعة وان الطريق الموصل اليها رهول ومخوف للغاية لا يمكن
الصعود اليها الا بشق النفس وان تحت تلك القلعة اقبى
ذات هلاهل ومول بالسحر اسمه الحرام وان باب القلعة في ذلك
الوقوع وان هذا الخبر مروى عن الثقة لكن لا تعلم بان شخصا
دخل تلك القلعة ثم خرج منها بل كل من دخل لا يخرج ابدا واظن
ان عدم خروجه من يدخلها لا ستغافله في لذاتها وعلو مزاياها
فلما سمع النفس هذه الرواية من طول الرمل تشوق الى دخول
تلك القلعة وقال في نفسه لو لم تكن هذه الرواية صحيحة لما
بلغت و التواني فانه الرخصة من صاحب المنزل وتوجه نحو
القلعة فلما وصل اليها واراد الدخول من بابها الذي هو فيم القباب
ذات الاله هل رآه اهل المدينة التي يقال لها مدينة الاستقامة
لان مرقها كان بقرب القلعة فتمسوه عن الدخول وقالوا له ان
هذه الامم مجهول ومحل الهلاك وعدم رجوع من يدخل فيها دليل

على من سلك هذا الطريق فهو غير الادراك وهو يمكن حصول
الشفاء من سم الثعبان فلم يلتفت الى كلامهم بل تقدم الى فم
الارض وهو فاقد الحس والشعر ودخله وصار يعيش في
الدهاليز الذي هو خلق الارض من بين معادن السموم ومخازن
الأكلة والاموم ولم يزل سائرا في تلك الهاوي والهاالك
الى ان خرج من الجانب الاخر وهو على اخر رمق فنظر فاذا هو على
شاهق جبل قد قارت السحاب واسفل الجبل ساهرة غبراء وفوقه
جود السماء وحيث ان سموم وهمم الارض لم يبق فيه حس ولا
ادراك فزالت رغبته التي كانت لتلك القابض والكسوف ولم يجر
وقتا لسؤال عن شئ من تلك الاشياء فهو فاعلى روجه وصار
يكنى ويناديه على نفسه ويتأسف على فقده لا بناء جنبه وبقي
هائرا عما في تلك المفاز المقطعة والهاوي الخطرة اذ
ليس فيها ما ياكل ويشرب ولم يجد ايضا ماوى ياوى فيه فيس
من حيائه وابقى بحلول مما تله فيسما هو على تلك الحالة اذ نظر
في باله ان يخاطب نفسه مرة اخرى ويدخل فم ذلك الثعبان لربما
يرتد الى الطريق الذي جاء منه فرجع فصار يجري ويهرول يمينا
وشمالا طالبا لتلك القلعة فلم يرتد الى اليسار فجلس متحيرا في
امره ولم يجد من يتوجه على حاله سوى قلبه ولا باكيا على ما
قاساه غير عينيه وراى في ذلك المحل عظاما كثيرة ملقاة على
الارض فاستدل بها على ان كل من صعد اعلا تلك القلعة لا
ينوبه الا الهلاك والدمار ويفنى خرائن عمره في ههناك البلاء

لكن من

لكن من كون ان الانسان يتجدد فكمه في كل نفس والروح التي لم يخرج
من الجسد يؤول بقاءها فبهذه الجنية لم يياس من فم الله
كل الياس بل توجه الى الله بقلبه وتوكل عليه وازال ما به هو
من الوسوس والادوهام وصار يدير على ذلك الشاهق
فلم يجد بدا من ان يلقي نفسه من اعلا الجبل وقال اما ان انجو
واسلم من هذه الالهية او ان اموت واستريح من هذه الدنيا
القانية ثم تقدم الى طرف الجبل ونفض عينيه وفوض امره
الى فالقه وجعل اعتماده عليه والقي نفسه فصار يهدم
وينزل نارة راسه ونارة دجله فغاب عن الحس والادراك
قبل ان يهبط على الارض من شدة الهمول والاضطراب
ثم هبط وهو لا يدري ولا يشعر ونام مدة وهو غايب
عن الوجود فلما استقر جسده وارتاح بدنه من الهم والاضطراب
والنقص ومصادمة الاحجار والوعار فتح عينيه وقام
على قدميه والتفت يمينا وشمالا فراى نفسه في صحراء واسعة
الطراف وهو ملقى على التراب فمشى الى جهة من الجهات
فأحس في جسده الهم الجروحات مما قاساه من تلك الصدمات
ولم يزل ماشيا الى ان وصل الى شاطئ نهر يقال له نهر النوبة
فقدم بذلك فها شديدا لانه لمالقى نفسه من قلعة الخسران
حصل في اعضائه بعض خلع وكسر رسالت منه الماء فتلوث
بدنه ونوبه فنزل في ذلك النهر لاجل التطهير تائبا عما جنته
يداه من الخطايا والتقصير فغطس في الماء ثم خرج فاذا هو

في بركة ماء مبنية من المرمر يقال لها بركة النجاة وتلك
 البركة في وسط بستان كان قطعة من الجنان يقال له
 بستان السلام فلما خرج من تلك البركة شاهد في حرمه
 انوار القدر وفي قلبه كمال الراحة والخيضر فقلب عليه النوم
 الذي هو علامة العافية تمام ساعة ثم لما استيقظ رجع
 عينيه فاذا هو في وطنه الاصل ومحل القديم ورأى استار
 العقل جالساً عنده رأسه فاضح النفس بهذه النشئة
 العجيبة سكرانا ومن هذه السرانيب هيرانا وصار يتفكر
 في تنابع وقوعاته السابقة وايقت بازها قد هتبت اهلا
 واصبحت اهوالا لانه لما كان في بداية امره لا يعرف ولا يفهم
 شيئا كان يظن في نفسه وجود المعرفة والكمال لكن الون
 قد ثبت عنده مقدار نفسه وعلم من اين اتى والى اين يذهب
 وعرف الحكمة الالهية والسبب في مجيئ المخمقات الى الدنيا
 ورجوعها ثانيا واستقرها في تلك الدار وعلم كذلك مقدار
 بقاء اللذات الفانية ومضرات الكذب والفطنة وسائر
 المحرمات حتى صار مظهرا لسرقته عليه السلام من عرف
 نفسه فقد عرف ربه وكذلك سابقا لما كان في سكرة الجحيم
 لا يميز الارض من السماء ومع ذلك كان يحب في نفسه
 ويقول انا انا وليس غيري واما الون حيث قد وصل الى
 الصحو التام واستيقظ من ذلك المنام فاقام نفسه مقام
 الزاب بين يرى الاصحاب والوزاب . فعنه ذلك تقدم

العقل

العقل اليه وقام بين يديه بكنان الحشمة والادب وخطابه
 بالخطاب الاتي ذكره وهو . يا نفس يا من قد عاز مقام
 الفضل والرفق انزال منزلة الوقوف والاطلاع على حقايق
 الاكوان تعلم اني لم ازل بجنته في امر تربيتك وقاسيت
 ما قاسيت حتى فلتت من ورطات المخطوط النفسانية
 وعلمت طريق الوداب والكمالات الانسانية وفتحت بك
 المراحل مرحلة بعد مرحلة الى ان بلغت منزلة ما بعد ما منزلة
 وكنت عليك في تلك المدة بمنزلة الحاكم والضابط لم تنزل تحت امر
 وانقيادى واما من بعد الون فمرافقتك وموافقتك لرايك
 في جميع حركاتك وسكناتك هي عبارة عن قيام بخدمة ربك واشكال
 امرك فلا سبيل للفتب والشهوة ان يجعلوك هذه فالسرايم
 المرام ولا سلطان عليك لسوا الخلق ان يخرجك عن طريق
 الاستقامة والانتظام وحيث قد صار عنان اختيارك في يدي
 فلم يبق لي محل الى تفهون وتربيتك فاجعل صحائف وقايعك
 السابقة عبرة لاهوالك اللوحية واسلم ودم والسلام
 فلما اورد العقل مقدما انه المذكور وفهم كلامه بهذه المقالات
 قام النفس عند ذلك حامدا لله وشاكرا لله على ما منحه واولوه
 وبادر الى الطاعة والعبادة لمولاه واقام على مسلك الانسانية
 مدة حياته وبقاه انتهى والحمد لله على التمام والصلوة والسلام
 على سيدنا محمد وآله وعلى الاصحاب واصحابه من الانبياء والقرى وتمام
 الحام وكان الفراغ من تحريرها يوم الاربعا من شهر ذي القعدة الشريف
 سنة تسع وخمسين ومائتين والالف